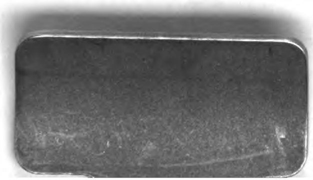
Digitized by Google



Digitized by Google

Digitized by Google

Mikha'il ibn Fransis al-Maruni al-Masabki ...

Kitab Ma'at Hikayah Qasirah...

كتاب

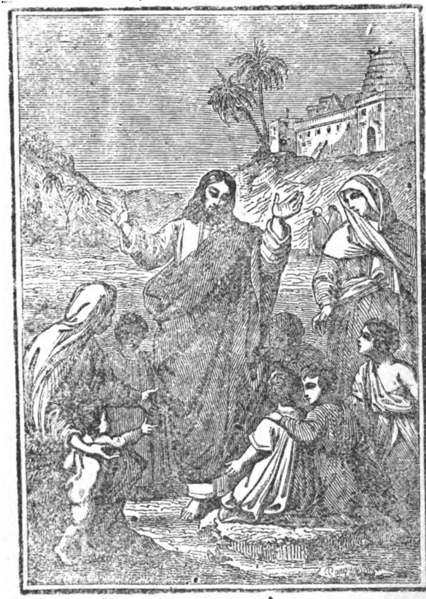
مائة حكاية قصيرة

لافادة الطلبة الاصاغر

Digitized by Google

Digitized by Google

[redacted]



دعوا الصبيان يأتون اليَّ (مرقس ١٠:١٤)

(RECAP)

415309

Digitized by Google

Digitized by Google

كتاب

مائة حكاية قصيرة

لافادة الطلبة الاصاغر

تاليف كريستوفورس شميد

قد ترجمهُ من الفرنساوي الى العربي ميخائيل بن فرنسيس
المسابكي الماروني تلميذ المدرسة اليسوعية في غزير

طبعة ثالثة

اصلحها وضبطها احد الاباء اليسوعيين

حق الطبع محفوظ للمطبعة

بمطبعة الاباء اليسوعيين
في بيروت سنة ١٨٨٦

Digitized by Google

تنبيه من المترجم العربي

لمّا كان الغرض الاخصّ من ترجمة هذا الكُتَيِّب الى العربي هو اعانة الطلبة الاصاغر على درس الفرنساوي صرفنا الاعتناء الى ان تكون ترجمة بسيطة مطابقةً الترجمة الفرنساوية كلمة فكلمة على حسب الامكان كما تقتضيه قواعد اللغة العربية

هذا وقد تحاشينا بقدر الامكان لمجرَّد التسهيل على الطلبة ان لا نستعمل في هذه الترجمة ما لا يوجد من الالفاظ في كتاب المفردات الدرّية في اللغتين الفرنساوية والعربيَّة المطبوع في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٨٨٥

Digitized by Google

مائة حكاية قصيرة

لافادة الطلبة الاصاغر

١ في الاله الحقيقيّ

كان فتى مسيحيّ عائشًا في بيت رجل وثنيّ وكان يقول لهُ مرارًا : لا اله الَّا الله خالق السماء والارض . وهو الذي يُضيء الشمس ويُنزِل المطر . ويُبصِر كل اعمالنا ويعلَم كل افكارنا ويسمع كل صلواتنا . الاله الحيّ وحدهُ يقدِر ان يعاقبنا ويثيبنا وان يُخلّصنا ويُهلِكنا . امّا هذه الاوثان التي اراها هنا فقد صُنِعت من الخزَف . فلا تستطيع ان تنظُر ولا ان تسمع وبالنتيجة فلا يمكنها ان تعمل خيرًا ولا شرًّا باوليك الذين يعبُدونها . لكن الوثنيّ كان يسدّ أُذنيهِ عن سماع الحق

فيومًا ما خرج ليذهَب الى البريَّة . فاغتنم الفتى فرصة غيابهِ وتناول عصًا وكسر جميع أَوثانهِ ولم يستبقِ منها الَّا اكبرها وقد وضع في يدهِ العصا التي استعملها لحطم سائِر الاصنام

فلما رجع الوثنيّ صاح بغضبٍ قائلاً مَن ترى ذاك الذي اوصلتهُ جسارتهُ الى هذا الحدّ

اجابهُ الفتى : ألعلك لا تصدّق ان وثنك الاكبر يقدِر ان يسحَق اخوتهُ الصغار

اجابهُ الوثني كلاَّ لا يمكنني ان أُصدِّق عنهُ لانهُ لم يحرِّك يدهُ قط . فأنت اذًا ايها الولد الشرير مرتكب هذا الإثم . انت الذي هشم اصنامي وقصاصًا لجريمتك فأُريد ان أُهلكك بهذه العصا نفسها

فتبسَّم الفتى ضاحكًا وقال لهُ : هدِّىء روعك ان كنتَ لا تصدّق ان وثنك فعل ما اقدِر عليهِ انا الفتى الضعيف فكيف تزعم اذًا انهُ هو الاله القادر على كل شيءٍ الذي خلق السماء والارض

ففحم الوثنيُّ واخذ يتبصَّر في هذا الكلام . ثم كسر هو عينهُ صنمهُ الاخير . ثم جثا على ركبتيهِ وسجد للاله الحقيقيّ اول مرةٍ طوبى لمن لا يرى في الله الَّا اباهُ ويلتجىء اليهِ بايمان صادق

Digitized by Google

٢ في الاب الصالح

ابٌ صالح انمسك في العاصمة لاشغال مهمّة وكانت امرأتهُ وبنوهُ بعيدين عنهُ في عقارٍ صغيرٍ بالبرية . فاتفق ذات يومٍ ان الاب ارسل الى اولادهِ صندوقًا كبيرًا مملوًّا تحفًا ظريفة مع رِسالةٍ يقول فيها : يا اولادي كونوا اتقياء وعقلاء فاني سآذَن لكم ان تاتوا اليَّ لنجتمع معًا . افرَحوا فاني في المحل الذي اعددتهُ لكم عندي ابقيتُ لكم ايضًا هدايا افخر جدًّا

دهش الأَولاد وصاحوا : ما احسن ابانا وما أَحناه علينا اذ ارسل لنا كل ما شأنهُ ان يشرَح خاطرنا . ولهذا نحبّهُ من صميم قلوبنا وإن يكن قاطنًا بعيدًا عنا ونحن لانقدِر ان نشاهدهُ ولا ان نتذكر هيئتهُ . حقًّا انهُ لا يصعب علينا شيءٌ لترضي خاطرهُ . فمن ثم نبذل جهدنا في ان نمتثـل كل ما رسمهُ لنا في رِسالتهِ . ويا لحظنا وسعادتنا اذ قد عاهدنا ان يُحضِرنا اليهِ

فقالت لهم امهم : يا اولادي ان الله سبحانهُ يعامل البشر على الارض مثلما عاملكم ابوكم . فهذا الاله الصالح لا نستطيع بعد ان نراهُ الّا ان عنايتهُ تُرسِل لنا الف هديَّة فاخرة ثمينة كالشمس والقمر والنجوم والزهور والاثمار وجميع غلات الارض . الانجيل المقدَّس هو بمنزلة مكتوبٍ مرسَل من الله قد اوحى لنا فيهِ ارادتهُ واعدًا ايَّانا بالسماء إِن حفِظنا وصاياهُ . وهناك في السماء تنتظرنا هدايا اجمل جدًّا وافراحٌ اعظم من افراح الدنيا وخيراتها

فلنقدِمنَّ للاله الصالح حبًّا عوض حبٍ ولنحفَظ وصاياهُ ونفرَح متهللين سَلفًا لكوننا سنُقبَل يومًا ما في النعيم حيث نشاهدهُ وجهًا بازاء وجهٍ وندهش دَهَشًا لا يوصَف

ان الله يتنازل الى ان يحبنا ويفتح قلبهُ لنا فينبغي لنا لَأن نجد سعادتنا في حبنا اياهُ

٣ في الام التقية واولادها

١

سيدةٌ شريفةٌ ذات حسب ونسب آلت بها حوادث سيئة الى ان تعيش في الغربة والشقاء قالت يوم عيدٍ كبير لولديها : واحسرتاه ما اشدّ شقوتي لاني في هذا النهار المحتفل لا استطيع الذهاب الى هيكل الرب كي أَضُمَّ صلواتي الى صلوات الوفٍ من المؤمنين الذين يجتمعون ليسجُدوا لهُ تعالى . لان المسافة من هنا الى المدينة بعيدة وعمري وامراضي تعوقني عن الذهاب الى هناك ماشيةً ولا نقدِر ان نستعمل المركبة لأَن الفاقة أَحوجتنا الى بيع الخيل

فللوقت ربط ابناها غصنين قويّين بكُرسيها وصيراهُ كهودَج نقلاها عليهِ الى الكنيسة رغمًا عن تحذيرها العذب لهما فالشعب الذين اذهلهم هذا المشهد وحرَّكهم الى ذرف الدموع نثروا على الطريق الزهور والغصون الخضر من باب المدينة الى مَدخل الكنيسة . وكانت تُسمع من كل جهةٍ هذه الاصوات : الاكرام والاحترام لأَسعد الامهات ولأَفضل البنين

حبّ الله واكرِم والديك فهذا اخصّ واجبات الاولاد

٢

وهكذا ما بين هتاف الشعب المطرب وصل النجلان الصالحان الى باب الكنيسة . فسجَدت الامُّ الصالحة أمام المذبح وابتهلت من صميم قلبها قالت : يا الهَ الجود أفِض نِعمك على ولدَيَّ . وآجرهما الاجر الذي تراهُ أنفع لهما

فنحو المساء رجع الغُلامان بامّهما الى البيت ثم رقدا فرِحين مسرورين لانهما قاما بفروض الابناء الصالحين .

ففي صباح الغد ارادت والدتهما ان توقِظهما فوجدتهما ممتدَّين على سريرهما بهيين جميلين كانهما ملاكان راقدان غير انهما لم يستيقظا

فارتعشت الامّ في اوّل الامر من موت ابنيها العزيزَين الفجائي لكنها عمَّا قليلٍ تشجَّعت قائلةً : يا اله الجود انك استجبتَ صلاتي اذ أرى الموت الهنيء الصالح افضل

Digitized by Google

ما يمكن أن يتمناهُ البشر . ها والداي الآن لديك . ان الدنيا ليست غنيةً بكفايةٍ لتجازي شفقتهما البنوية كما يستحقان . فمن ثم دعوتهما اليك الى وطن الطوباويين . ان شئتَ ان تتوقَّع الموت براحةٍ فافتكر في الابدية مدة حياتك

٤ في الاخ والاخت

يعقوب وحنة كانا وحدهما في البيت فقال الأوَّل لاختهِ : تعالي يا حنة نذهب ونفتش عن شيء من الحُلوَيات نلتذُّ بهِ

اجابتهُ حنة ان قدرتَ ان تاخُذني الى مكان لا يُبصِرنا فيهِ احدٌ اذعنتُ لك واشتركتُ في اللذَّة

قال يعقوب : أجَلْ فهلمّي معي الى الحجرة الصغيرة حيث يُحفظ الحليب فنتحلى هناك بقدر زُبدة

اجابتهُ حنة كلاَّ فها الجارة بازائِنا تشقق حطبًا قدَّام الباب فيمكنها ان ترانا

Digitized by Google

قال يعقوب هلمّي بي الى المطبخ فيوجَد في خزانة بيت المؤونة قارورة عسل نغمس فيهِ خبزنا وما اطيبهُ

اجابت حنة لكن افتكر أَن الجارة التي شباكها هو قبالة المكان لا تزال جالسةً هناك مشغولةً بالغزل فتنظرنا للحال

قال يعقوب : أَجَلْ أَ تعرفين ماذا نصنَع : ننزِل الى القبو فنجد فيهِ تفاحًا فاخرًا وهناك ظلمةٌ سوداء فلا شك ان لا يشاهدنا احد

اجابت حنة يا اخي العزيز أَ تظنّ ان لا يرانا احدٌ أَوَ لا تدري انهُ يوجَد في العلاء عينٌ تخرُق الحيطان وتعاين جليًا ما تحت الظلام الحالك

فاثَّر هذا الكلام في يعقوب فصمت وقتًا ثم صاح قائلًا : الحق معكِ يا اختي الصالحة . ان الله لحاضرٌ في كل مكان ولحاظهُ تراقبنا حيث لا تقدِر عينٌ بشرية ان تكشف علينا . فلنحذَر ارتكاب ايّ شرٍّ كان

فابتهجت حنة لقبول أَخيها نصيحتها برضًى ووهبتهُ صورة

Digitized by Google

منقوشة يُرى فيها عين الله محاطة بشعاع نورٍ وفي اسفلها هذا الكلام

انَّ الله يرانا ويراقبنا على الدوام فليت هذا الذكر المقدَّس يقينا من الإثم

٥ في الصحو

لما عصفت الرياح ليلةً ونزلت الامطار سُيولًا صرخت فريديريكا قائلةً : لماذا لا تصحو السماء وتظهر الشمس كل يوم . في الأسبوع القابل أُستجيب دعاء فريديريكا ولم يُرَ بعد في الأفقِ ادنى سحابةٍ

ولكن هذا طول احتباس السماء سبَّب اضرارًا عظيمة للمروج والحقول والحديقة فريديريكا ايضًا . لان زهورها ما لبثت ان ذبلت حتى ان الكتّان الذي زرعتهُ وكانت تعد نفسها منهُ بغلَّةٍ وافرة أَوشك ان لا يبلغ طولهُ إصبعًا واحدةً

فاكتأبت فريديريكا لذلك فقالت لها امُّها : انكِ

Digitized by Google

تَرَين الآن يا ابنتي جليًّا ان المطر ضروريٌّ كالصحو . فلا يَحسُن بنا نحن معشر النـــاس ان لا تكون ايامنا الّا سعيدة رائِقة بل يلزمنا ايضًا وجوبًا ايام مظلمـــةٌ بالغمام الأَسود اي الهموم والغموم حتى ندرِك البلوغ اي الفضيلة

ان الفرح والحزن عطيتـــان من الله كالصحو والمطر من السماء

٦ في المَطَر

كان تاجرٌ قادمًا من الموسم وكان راكبًا فرسًا وخلفـــهُ هميانهُ مملوٌّ دراهم . فنزلت الامطار سيولًا وابتلّ الرجل حتى العظام فلم يعُد فيـــهِ صبرٌ على ضبط ذاتهِ من الاحتداد فطفق يتذمَّر على كون الله جعل لسفرهِ وقتًا شاتيًا

فبعد هنيهة من الزمان مرَّ بغابةٍ كثيفة فنظر بفزَعٍ لصًّا وراء شجرةٍ يترصَّدهُ ويصوّب بندقيتهُ نحوهُ واراد اللص ان يُطلق عليهِ النار فلم تنطلق لان البارود ترطَّب من المطر فهرب التاجر

Digitized by Google

بحصانهِ ناخزًا اياهُ بالمهمازين فنجا باذن الله

فلما وصل الى محل الامان قال في نفسهِ : ما أَرعنني لانني لم ارتضِ بجوّ شاتٍ كانهُ احسان خصوصيّ من الله . فلو كان الجوّ يابسًا صاحيًا لمتُّ وكنت وقتئذٍ عائمًا بدمي وامست عائلتي المسكينة تنتظر قدومي عبثًا . فالمطر الذي تذمَّرت منهُ نجَّى حياتي وكيس دراهمي معًا

ان الذي يخال لنا مُصيبةً كبيرة كثيرًا ما يكون فضلًا عظيمًا من عناية الرحمان

٧ في قوس القُزَح

عقيب زوبعة هائلةٍ اجدت الارض نفعًا عظيمًا ظهر في الأُفق قوس سحابٍ بهيّ . فنظرهُ الولد الصغير هنريكوس الذي كان ساعتئذٍ يتطلَّع من الشُباك وصاح فرِحًا قائـلًا : ما رأيتُ مُنذ انا في العالم كذا الوانًا مدهشة . وهي هناك عند الصفصافة القديمة التي على شاطي الساقية تنحدر من علو الغمام الى الارض . انني لمتاكد ان جميع هذه

Digitized by Google

الالوان الجميلة يقتضي ان تقع نُقَطاً صغيرة من كل ورقةٍ من الشجرة . فلنركضنَّ حالًا ونملأْ منها كل صدَف عُلبة التصوير التي لي

وفي الواقع ان الولد اخذ يجري مسرعًا نحو الصفصافة لكنهُ اندهل متحيرًا عندما وُجد وحده تحت المطر وما اكتشف على ادنى اثرٍ من تلك الالوان التي كان يبتغيها فبعد ما ابتلّ حتى العِظام عاد راجعًا الى بيتهِ كئيبًا وقصّ على ابيهِ ما جرى لهُ .

فاجابهُ ابوهُ متبسّمًا يا ولدي ان الالوان التي عاينتها ليست تلك التي توضَع في الاصداف بل انما هي نُقَط تتلألأ وقتًا بشُعاع الشمس . وليست تلك الاشكال الساطعة حقيقية ولا ثابتــة . فقس عليها يا ولدي العزيز اباطيل هذا العالم كافةً اذ تَبين لنا شيئًا نافعًا والحال انها ليست الَّا لمعان زائل فمن ثم لا ينبغي لن نحكم بمقتضى الظاهر والَّا تنقلب لذتك أَلمًا

٨ في الصَّدَى

كان الغلام جاورجيوس لا يعرف بعدُ ما هو الصدى. كان يوماً في مَرجٍ فأَخذ يصيح. أُو أُو. فسمع هاتين اللفظتين خارجتين من الروضة القريبة: أُو أُو. فتعجب الولد فجعل يصيح: مَن انتَ فصاح عليهِ الصوت ايضاً: مَن انت. فتغيَّظ جاورجيوس ممن كان يردّ عليهِ سوالاتهِ من دون ان يجيبهُ عنها. وقال لهُ: انك احمق. فكرَّر الصوت من وسط الغابة هذا الكلام: انك احمق

فغضِب جاورجيوس غضباً شديداً وأَخذ يقذِف نحو تلك الغابة شتائم كثيرة. فردَّها عليهِ الصدى كلَّها حرفيّاً. فعند ذلك جال كل تلك الروضة ليطلب الصبي الصغير الذي ظنَّ انهُ كان يستهزِىء بهِ فيخبطهُ. لكن لم يجد احداً

فانتكى جاورجيوس من عدم امكانهِ ان ينتقم لنفسهِ. وعجَّل الى البيت وشكا أَمرهُ لامّهِ قائلًا: ان غُلاماً سفيهاً توارى في الروضة وطفق يسخر بي ويُغلِظ لي الكلام كثيراً

Digitized by Google

اجابتهُ امهُ . هذه المرَّة يا ولـدي قد فضحتَ ذاتك واشتكيت على نفسك . فاعلم انك لم تسمع الَّا كلامك عينهُ . فكما انك كثيرًا ما نظرت وجهك منعكسًا في الماء كذلك قد سمعتَ صوتك منعكسًا في الأَجمة . فلو تفوَّهتَ بكلامٍ محتشمٍ لائقٍ ما ردَّت عليك الغيضة الَّا كلامًا محتشمًا لائقًا

فعلى هذه الصورة يحدث دائمًا ان سيرة الغير نظرًا الينا هي عادةً صدى سيرتنا . فاذا احسنَّا سلوكنا معهم كما يليق فعلوا بنا كذلك . واذا تصرفنا مع الناس بالجفاء والغلاظة فما سبيلنا ان ننتظر منهم شيئًا من الحسنى

ما تقولهُ في الغاب يردُّهُ عليك الصدى حرفًا بحرفٍ

٩ في الينبوع

لما كان الحرّ مشتدًّا ذات يومٍ من الصيف مضى الولد غويلّموس الى البرية وسار مسرعًا حتى احترق خدَّاهُ وكاد يموت عطشًا . فوصل الى عينٍ تحت ظلّ

Digitized by Google

سنديانةٍ عظيمةٍ يتفجّر ماؤهـا من صخرةٍ صافيًا متلألئًا كخيط فضّةٍ

فانكبّ غويلِموس على ذلك المـاء البارد كالجليد. ولكن حالما شرب منهُ وقع مغشيًّا عليهِ وعاد الى والدَيهِ مريضًا واعترتهُ حمى شديدة مخطِرة. وكان يقول متنهدًا على مضجع وجعهِ: اواه مَن ذا الذي رأى ذلك الماء وقال ان فيهِ سمًّا مؤذيًا

فسمعهُ ابوهُ وقال لهُ: ليس الينبوع علة دائك لان ماءهُ طاهرٌ نافعٌ بل هي شربك منهُ بشراهةٍ وقلة فطنةٍ

لا تخلو لذةٌ من الذمّ اذا استعملها احدٌ بطمعٍ

١٠ في الزهور

في صباح نهارٍ بهيّ من الربيع ذهبت الفتاة مرغاريتا لتتنزّه على جانب سياجٍ يحيط ببرجٍ بهيٍّ ملاصق القرية. واقبلت تقطف زهورًا لتصنع منها باقةً

فرأت عند ذلك السياج كثرةً من البنفسج الظريف ففرحت بهذه اللقاية وجعلت تجمع منها بطمع

Digitized by Google

فناداها فلاحٌ مسنٌّ قال : يا ابنتي ابعدي عن هذا السياجِ فان فيهِ أفاعي سامَّةً

فنكصَت مرغاريتا مرتعدةً لكن شوقها الى قطف تلك الزهور رجَّعها عمَّا قليلٍ : فقالت : ينبغي لي ان افوز بتلك البنفسجة التي انظرها هناك لان زُرْقتها تتلألأُ بلمعانٍ لطيف ما بين الأَعشاب

فبينما كانت تتهيأُ لقطفها اذا بافعى وثبت عليها والتفَّت على ذراعها ولَدغتها لَدغةً قتَّالةً . وبعدَ ساعاتٍ قليلة لذلك امست هذه الفتاة المسكينة البديعة الجمال جثةً باردةً

ينبغي للانسان ان يقمع اهواءَهُ أَو يصادف هلاكهُ وهو يطلب ملاذَّهُ

١١ في التفاح

في صباحٍ رأَى الولد غريغوريوس من كُوَّتهِ المطلَّة على بستان الجار كمية من التفاح الجميل منتثرةً على العشب

فانحدر غريغوريوس من فورهِ ودخل البستان زاحفاً على

Digitized by Google

بطنهِ من ثُغرةٍ شاهدها في السياج وجمع كثيرًا من التفاح وملأَ منهُ اجياب ثوبهِ وصدريتهِ

ولكن اقبل صاحب البستان بغتةً وبيدهِ عصًا · ففرّ غريغوريوس باسرع ما يكون واراد ان يتخلص مارًّا بتلك الثغرة التي كان دخل منها

ولكن يا لشدَّة ويلهِ لانَّ جيــابهُ المزموكة صيَّرتهُ ضخمًا حتى أُمسك في تلك الفُرْجة الضيّقة فلم يستطِع أن يُفلت منها · واحوجهُ الامر ان يردّ ما سرق من التفــاح وان يحتمل عِقابًا شاقًّا استحقهُ بسرقتهِ · ثم قال لهُ الجار مال القريب اذا سرقتهُ يشكوك فتكون محقوقًا

١٢ في الإِجَّاصة

امراة شريفة حَظِيت بوضعها ابنها ادولفوس بمنزلة وصيف في قصر اميرٍ · فعند ما ودَّعتهُ باكيةً أوصتهُ وصايا حكيمة

قالت لهُ : ليكن الله في قلبك دائمًا واذكر في كل عملك انهُ تعالى ينظر اليك · اكرِم الامير مولاك واحبَّ ارفاقك محبة

Digitized by Google

اخوية واحذَر خاصةً من ميلك العزيز اعني بهِ الشراهة

فلما وصل ادولفوس الى البلاط تقلَّد خدمة الامير على المائدة . ففي ذات يوم حمل صحن فضَّة فيهِ إجّاص مطبوخ بالسكر . فداهمتهُ التجربة بان ياكل واحدة منها . ومع ان وصايا والدتهِ الفطنة كانت تخطر على بالهِ لم يطاوع الَّا شراهتهُ . فقبلما يدخل الى القاعة تناول سرًّا واحدة من ذلك الإجّاص وابتلعها بشراهةٍ . لكن حالما وضع الصحن على المائدة وقع ميتًا . لان الإجَّاصة كانت بعد سُخنة جدًّا فخرقت حلقهُ ومعدتهُ

اذا لم تشأ ان تسمّ حياتك فاقمع فيك كل شهوة رديئة

١٣ في الجوزة

صبيان صغيران وجدا جوزة تحت شجرة جوز كبيرة عند مدخل القرية . فقال احدهما اغناطيوس هذه تخصني لانني انا رأيتها اوَّلًا

فصرخ رفيقهُ برزدوس قائلًا لا بل هي لي لانني

Digitized by Google

انا لقطتها. فتشاجرا على ذلك مشاجرةً شديدة

فوافاهما على سبيل الاتفاق صبي اخر اكبر عمرًا واشد قوةً منهما وقال لهما : انا أُوفِّق بينكما . فوقف ما بينهما وبعد ما سمع دعاهما فلق الجوزة ولفظ هذه الحكومة : القشرة الاولى لَمن رأى الجوزة اوّلًا . الاخرى لَمن لقطها. اما اللبّ فهو لي جزاء قضاء

ثم قال ضاحكًا : هذه هي عادةً نهاية كل دعوى . يجب دائمًا اداء المصروف على مَن يحبّ إقامة الدعاوي

١٤ في قشرة الجوزة الخضراء

البُنيَّة ليزيا لقِيَت في البستان جوزة كانت بعدُ مغطاةً بقشرتها الخضراء فظنتها تفاحةً وارادت ان تاكلها . فحالما عضتها باسنانها طرحتها للوقت وهتفت قائلةً : تفًا لها ما امرّها

فاخوها كُنرادوس الذي كان أَنبه منهما لقط الجوزة عاجلًا وقشَّرها باسنانهِ وقال : لا أُبالي بمرارة هذه

Digitized by Google

القشرة لعلمي ان فيها قلبًا حلوًا جدًّا يلذُّني اعظم لذة

لايشقّ على عزمك الشغل مهما كان اذا كان جزاؤهُ حسنًا

١٥ في الغصن الاخضر

كان فريديريكوس ولدًا نزقًا وطائشًا ولم يكن يكترث بالنصائح الصوابية المقدَّمة لهُ . بل كان بالعكس يزدري بها ويجعلها سخرية

فلما كان في البستان ذات يوم مع اختهِ صوفيا وكانت جُنينة صوفيا مفلوحةً ومرتَّبة باجتهادٍ مزيَّنــة بزهورٍ فيما ان جُنينة فريديريكوس كانت مشوشةً جادسةً ممتلئةً حشائش رديئةً

فقالت لهُ صوفيا : يا اخي يا اخي كيف يمكنك ان تتهاون بروضتك تهاونًا كذا . فان لم ترتّب أعمالك احسن ترتيبٍ فتذكَّر ما قالتهُ لك امّك مرارًا : إن لم يصطلح هنا الولد فلا يرتفع على غصنٍ اخضر (١)

(١) مثل عند الالمانيين معناهُ لا ينجح

Digitized by Google

فطفق فريديريكوس يضحك من تحذير اخته الصوابيّ وتسلّق شجرة إجّاص كبيرةً وصرخ قائلًا : يا صوفيا انظري أما وصلتُ الى غصنٍ اخضر . فلما تلفّظ بهذا الكلام اذا بالغصن قد طقطق منكسرًا . فوقع فريديريكوس على الارض وترضّضت ذراعهُ

من يستهزئ بالمشورات الصالحة فلا بدَّ من ان يندم على عثرتهِ اما حالًا او استقبالًا

١٦ في العشبة الثمينة

خادمتان اسماهما بريجيتا وَوالبورغا كانتا سائرتين معًا الى المدينة حاملةً كل منهما على راسها سلة ثمرٍ ثقيلة

اما بريجيتا فلم تكفَّ عن التشكّي والتنهُّد واما والبورغا فلم تعدِل عن الضحك والمزاح

فقالت بريجيتا كيف يمكنكِ ان تضحكي بطيبة قلب وحملكِ قلَّ ما يكون ثقيل مثل حملي ولستِ اقوى مني

اجابتها والبورغا انني اضفت الى حملي عُشبةً تصيرهُ

Digitized by Google

خفيفًا عليَّ فأُشير عليكِ ان تستعمليها

فصاحت بريجيتا بحٍ لا بدَّ ان تكون تلك العشبة ثمينة جدًّا . اني أُعطيكِ برضًا مهما كان لأحصل عليها تخفيفًا لحملي . فارجوكِ اذًا ان تقولي لي ما اسمها

اجابتها والبورغا ان العشبة الثمينة التي تخفف كل حملٍ تُدعى الصبر

ان شئتَ ان تُسكّن أَلمك فداوهِ بالصبر

١٧ في اللِفت

بستانيٌّ فقيرٌ زرع في بستانهِ لفتًا وقد اعتنى بهِ حتى وجد منهُ لِفتةً غايةً في الكبر اذهلت كل من رآها . فقال : لَنمضينَّ ناخذها الى القصر ونقدّمها هديةً لسيدي فانهُ يحب ان يرى الحقول والبساتين مزروعةً جيدًا

وبالنتيجة حمل اللفتة المشار اليها الى القصر . فمدحهُ السيد كل مدحٍ استحقَّهُ جهدهُ وتعبهُ وشكرهُ على عنايتهِ واعطاهُ ليرتين

Digitized by Google

وكان فلاحٌ من تلك القرية غنيًا بالكفاية وبخيلًا جدًّا . فلما سمع الحديث عن ذلك قال في نفسهِ : لا بأس من ان اذهَب حالًا واقدّم لسيدي أجود غني لانهُ اعطى على لِفتةٍ ليرتين فيعطيني اكثر من ذلك على كبشٍ معلوف . هكذا قال وهكذا فعل

فربط حبلةً في رقبة كبشهِ وساقهُ الى السيد وسألهُ ان يتكرَّم بقبولهِ . ففهم السيد من ساعتهِ ان حبّ المكسب الدنيء حمل ذلك الاكَّار البخيل على ان يقدّم لهُ تلك الهدية . فاغتاظ من هذا الجود المكريّ وأبى ان يقبل التقدمة

فتوسَّل اليهِ الفلاح بالحاحٍ ان لا يرذل تلك التحفة . فاجابهُ اخيرًا السيد العاقل : أَجَلْ انني اقبَل هديتك لكونك تضطرُّني الى ذلك . ولكن من حيث انني لا اريد ان اكون كريمًا عليك اقل مما انت كريمٌ عليَّ اعطيك بدلًا منها شيئًا كلَّفني ثلثة اضعاف ثمن كبشك . فلما فرغ من هذا الكلام قدَّم لذلك البخيل اللفتة الضخمة التي كان ذاك قد سمع

Digitized by Google

الخبر عنهُ فبهِت مخجولًا

كل البشر يعتبرون مَن هو شريف القلب اما المرائي فهو مكروهٌ في كل مكان

١٨ في الملفوف

لما كان الصانعان المتصاحبان يوسف ومبارك مسافرين معًا اجتازا يومًا ببستان بقولٍ على طرف القرية

فقال يوسف : انظر ما احسن هذا الملفوف فما رأيتُ قط ملفوفًا بمثل هذه الضخامة المفرِطة

اما مبارك الذي كان يحبّ المزاح بنوع خاصّ فاجاب : واعجبا لستُ ارى في هـذا الملفوف شيئًا غير اعتياديّ لانني في مدة اسفاري ابصرتُ ملفوفةً وحياتي اكبر من هذا البيت الذي تشاهدهُ امامك

واما يوسف الذي كان نحّاسًا فقال : هذا لا يخلو من المبالغة . مع ذلك اتذكر انني صنعت قدرًا اكبر من كنيسة هذه القرية

فصاح مبارك . بالله عليك ان تشرَح لي ما

Digitized by Google

المراد بعمل تلك القدر الوسيعة

اجابهُ يوسف. هو ان تطبخ فيها ملفوفتك

فخجل مبارك خزيًا وقال: الان فهمتُ معنى كلامك انك لا تكذِب عادةً فلم تكلمني هكذا الّا لتبين لي أُضحوكة كذبي الذي هو من مهذارٍ خالص. فقد فحمت فحومًا (اى عجزت عن الجواب)

من يكذب حبًّا بالمجد الباطل فلابدَّ لهُ من يوم يُخادَع فيهِ

١٩ في الفُطر

امٌّ ارسلت يومًا بُنيَّتها كاترينا الى الغابة لتجني من هناك فُطرًا يحبّهُ ابوها جدًّا. فصرخت البنيـة قائلةً: يا أُمَّتِ افرَحي فقد لقيتُ اليوم فطرًا فاخرًا. وكشفت سلَّتها الصغيرة وقالت: ها هو انظريهِ فانهُ احمر كالقرمز ويلوح كانهُ مزيَّن باللؤلؤ. وفي الغابة ايضًا كثيرٌ من الفطر الرماديّ البشع كالذي جئت بهِ في الامس لكنني وجدتهُ دنيئًا جدًّا فلم أتنازل الى جمعهِ

Digitized by Google

فهتفت أمُّها مرتعشةً : يا لكِ من بُنيّةٍ جاهلة ان هذا الفُطر الجميل وان يكن ذا شكلٍ بهيٍّ ولامعًا كاللؤلؤ ففيهِ سمٌّ نلقعٌ يقتل حينَ يُؤكل . مع ان الفطر الرماديّ الذي لم تتنازلي الى اجتنائهِ هو الاحسن ولو كان ظاهرهُ حقيرًا

وقيسي عليهِ يا ابنتي اشياءَ كثيرةً في هذا العالم . فيوجد فيهِ فضائل متواضعة يحتقرها الجهلاء ويُرى فيهِ نقائص مبهرجة يعتبرها الحمق . حقًّا ان الخطية نفسها تحاول ان تطغينا بظواهرها المرضية

لكن اللذة المتأتية عن الخطية انما هي سمٌّ خفيٌّ

٢٠ في اليقطين والبلوط

فلاحٌ اضجع ممتدًّا على الحشيش تحت ظل سنديانةٍ قديمة واخذ يتاَمّل في نبات يقطين كان متدلّيًا على سياج بستانٍ قريب من هنالك . فطفق هذا الفلاح يهزُّ راسهُ لدى نظرهِ ذاك وقال في نفسـهِ : يا للعجب . لا يحسن بعيني ان هذا النبـات الرفيع المتدلّي يحمـل ثمرًا

ضخمًا جدًّا وهذه السنديانة الكبيرة المتشامخة لا تحمل الّا ثمرًا صغيرًا جدًّا . فلو خلقتُ انا العالم لجعلتُ هذا اليقطين الكبير الجميل الأصفر الذهبيّ الظريف يخرج من السنديان واردتُ ان يزن الاصغر منهُ قنطـارًا ونيفًا . وحينئذٍ يكون كل شيءٍ في اعتدال مناسب

فحالما تفوَّه بهذه الالفاظ سقطت بلوطةٌ من الشجرة على انفهِ وجرحتهُ فسال منهُ الدم . فصرخ رجلنـا مرتعشًا وقال : آهْ لقد اصابتني نقفةٌ على انفي جزاءً لحماقتي . فلو كانت هذه البلوطة يقطينةً لهرست انفي لامحالة

ان نظام العالم وترتيبهُ العظيم يدلّان على حكمة الباري ونظرهِ في العواقب

٢١ في السنديان والصَفصاف

في صباحٍ عقيب ليلة زَوبَعة مريعة اخذ ريشاردوس ابنهُ انسلموس وجعل يجول بهِ في اراضيهِ ليكتشف على ما اتلفتهُ فيها تلك الزوبعة

Digitized by Google

فقال الولد انسلموس: انظر يا ابي كيف سقطت على الارض هذه السنديانة التي كان يُخال انها قويَّةٌ جدًا مع ان هذه الصفصافة الضعيفة بقيت واقفةً على شاطي الساقية أليس هذا امرًا مُدهشًا. كنتُ اظنُّ أن الزوبعة القت الصفصافة لا السنديانة

اجابهُ ابوهُ ان السنديانة المتكبّرة التي أبت ان تلتوي انكسرت ضرورةً. اما الصفصافة فاذعنت لقوة الريح ولم تعطِها قبضًا عليها

ليس العناد الّامن التجبُّر والتسليم خيرٌ منهُ وهو من الامتثال

٢٢ في السنديان

اتفق في الزمان القديم ان شابَّين يُدعيان ادموندوس وأُسوالدوس ترافعا يومًا الى المحكمة

فقال ادموندوس للقاضي انني منذ ثلث سنوات حين كنت على اهبة سفرٍ طويل اودعتُ اوسوالدوس الذي كنت اظنهُ احسن اصدقائي خاتم ماسٍ فأنكر اليوم الوديعة وابى ان يردَّها لي

Digitized by Google

فوضع أُسوالدوس يدهُ على صدرهِ وقال: اقسم بشرفي انهُ لم يكن عندي قطّ ادنى اطلاع على الخاتم الذي يتكلم عنهُ صديقي ادموندوس . فيقتضي حقًّا انهُ يكون فقد العقل

فقال القاضي يا ادموندوس: أَعندك شهود يقدِرون ان يثبّتوا انك سلمتَ الخاتم الى أُسوالدوس

اجابهُ ادموندوس: لسوء حظّي ما عندي شاهد الّا السنديانة العتيقة المنفردة في وسط الحقول وقد ودَّعتهُ تحت ظلّها

فقال أُسوالدوس انا مستعدٌّ لان احلف يمينًا انني ما اعرف تلك الشجرة ابدًا كما لا اعرف الخاتم

حينئذٍ قال القاضي: امضِ يا ادموندوس وآئتِني بغصنٍ من تلك السنديانة التي تكلَّمتَ عنها الان فاني محتاجٌ اليهِ . واما انت يا أُسوالدوس فامكُث هنا حتى يرجع ادموندوس

فمضى ادموندوس الوقت وبعد ذلك بهنيهةٍ من الزمان جعل القاضي يقول: ادموندوس تاخَّر كثيرًا . فيا ترى أَين تعوّق

Digitized by Google

برهةً طويلة . افتح الشباك قليلاً يا أُسوالدوس وانظُر أما رجَعَ بعد

اجابهُ أُسوالدوسٍ يا مولانا من المستحيل ان يرجِع حالًا . لأَن الشجرة التي تَكلم عنها هي على اكثر من ساعة من هنا

فقال القاضي وهو غضبان : ايها الانسان المنافق الغشاش انك كنت تريد ان تحلف يمينًا بانك لا تعرف الشجرة اكثر من معرفتك بالخاتم . فقد تحقَّقتُ الآن انك تعرِف الخاتم كما تعرف السنديانة

فحُكِم على أُسوالدوس بان يردّ الخاتم وبان ينشنق على الشجرة المذكورة

كثيرًا ما يهلك الظلم ذاتهُ في هذه الدنيا اما في اليوم الأَخير فيظهر كل شيء علانيةً

٢٣ في الحقل

كان كوخ نيقولاوس مبنيًّا في ارض مغطَّاةٍ بعُلَّيقٍ ودغَل وشوكٍ وبُندُق . فيومًا من ايام الحصاد كان الحرّ

Digitized by Google

مشتدًّا بافراطٍ فاضطجع نيقولاوس متكاسلًا في ظلّ شجرةٍ من ذلك العُليق . فمرَّ بهِ فلاَّحٌ يسوق عَجلةً محملةً اكداس قمحٍ كبيرةً فنظر نيقولاوس الى العجلة بعين الحسد ولم يَكد يُسلم على الفلّاح فهذا (اعني بهِ الفلاَّح) وقف وقال لنيقولاوس : ان شئتَ ان تتعب قليلًا بفلاحة هذه الارض البورِ التي لك وان تحرث منها كل يوم مسافةً قدر ما تغطيهُ جثتك الكسلة فيمكنك بعد سنةٍ ان تحصُد منها على الأقلّ مقدار هذه الاكداس التي تراها على العجلة

فاستصوب نيقولاوس هذه المشورة وشرع يقطع الشوك والعلّيق . وعزَق ارضهُ وحرثها وعلى هذا النّمط اقتنى لنفسهِ حقلًا لم يكلفه بارة واحدة وغلّ لهُ بغزارةٍ قوتهُ وقوت عائلتهِ

ان الفقر يحيق دائمًا بالكسلان لكنهُ لا يُدرِك الرجل النشيط

٢٤ في سنابل القمح

فلاَّحٌ مضى ذات يومٍ ليفتقد حقولهُ ويرى هل حان

Digitized by Google

حصاد الزرع وقد أَصحب معهُ ابنهُ الصغير المسمّى طوبيا فهذا الولد العديم الخبرة قال لابيهِ . انظُر يا أَبتِ كيف ترفَع بعض سيقان القمح رؤُوسها مستقيمةً متعجرفةً فيبين انها الاحسن . امَّا هذه السيقان الأُخر التي حولها فتخفض رؤُسها الى الارض فلمن المؤَكَّد انها ادنى منها .

فجمع ابوهُ بعض سنابل وقال : تامَّل يا بُنيَّ وانظُر ان هذه السنبلة التي كانت ترفع راسها متشامخةً هي فارغةٌ بالكليـة . وبالعكس ان هذه السنبلة الأُخرى التي كانت تخفض راسها محتشمةً هي ملآنةٌ قمحًا جيدًا .

إنَّ المتكبر المفعم فخفخةً يكون غالب الاحيان ناقص العقل والمروَّة

٢٥ في الحِمّص

مُشَعوِذٌ استأذن اميرًا ان يصنع قدامهُ خُزَعبلة ما شوهد قط مثلها . فرضي الامير بذلك وحضر قدامهُ رجلنا حاملًا صحفةً ممتلئـةً من حِمص صغير منقوع بالماء

وقال لواحدٍ ان يمسك ابرةً (ويقف امامهُ) بعيــداً عنهُ بعض خطواتٍ واخذ ينقف تلك الحمصات واحدةً بعد أُخرى بحذاقةٍ حتى كانت جميعها تنشكّ بالابرة

فقال لهُ الامير يا صاح انني فهمتُ انك قد اجهدتَ نفسك وصرفتَ بلا شكٍ زمناً مديداً لتحصل على هذه الصناعة الغريبة. فيقتضي عدلًا ان أُكافئك عن ذلك.

حينئذٍ همس الامير الى واحدٍ من خدمهِ فخرج هذا واتى بكيس ثقيلٍ. ففرح المشعوذ فرحاً عظيماً لتوهمــهِ ان الكيس مفعمٌ ذهباً

فلما فُتح الكيس بامر الامير وُجد فيهِ حمصٌ صغير.

فقال الامير. من حيث ان قريحتك لا تجدي معشر البشر نفعاً. وبالنتيجة في النادر تنــال منها جايزةً قد يمكن لئلك تخلو من الحمص. فلا استطيع اذاً ان اكافئك احسن من ان اعطيك منهُ مؤنةً وافيةً

انهُ ليضيع تعبهُ وزمانهُ من يكتسب مهارة غير مفيدة

Digitized by Google

٣٦ في العدس

كان رجلٌ غنيّ يعيش بالتقتير ولم يكن يا كل غير عدسٍ لانهُ كان يعتبرهُ ارخص الطعـام واكثرهُ تغذيةً . وزِد على ذلك انــهُ احتراساً من ان يُنفِق من عدســهِ الّا ما يلزم بالتدقيق لكيلا يهلك جوعًا كان يعدُّهُ واحدةً واحدةً ويضعهُ في القِدر

وبينما هو يضيع وقتهُ هكذا بعدد عَدسهِ كان يتغافل عن مصالحهِ حتى تحمل خسائرِ كبيرة . وفيما كانت حُساباتهُ المتعبة توفر عليهِ بعض عدسات كان خادمهُ يسرِق منهُ كيس قمحٍ وازيد

فهذا الرجل الموسرمات فقيرًا جدًّا وكان يقول على سرير موتهِ

غلطٌ جسيم ادخّار اشياء دنية واهمال أشياء مهمّة

٢٧ في الكتّان

سيّدةٌ شريفة كانت تزرَع في اراضيها كتّانًا وكانت

Digitized by Google

تريد ان تُحسِن هذا الايراد . فوافاها رجلٌ يتاجر بهذا الصنف وقال لها : اعطيني كيساً من بذر الكتّان الذي عندكِ وصفتهُ غير جيدة . آتيكِ بدلًا منهُ ببذرٍ غريبٍ جنسهُ احسن بكثيرٍ . لكنما يلزمكِ ان تعطيني ريالًا زيادةً فرضيت السيدة بذلك

وكان التاجر المذكور خبيثاً جدًّا فافتكر في نفسهِ قائلًا : انني اختل هذه المرأة الساذجة بنوعٍ ظريف وهو ان اتيها بذات البذر الذي تعطيني اياهُ وبهذا اكسب الريال بلا شيء . فاذا تشكّت لي بان بذرها ما صحّ أَحلتُ الذنب على رداءة الزمان او على رداءة الارض

فجاءَ تلك السيدة بالبذر فاخذتهُ منهُ بفرحٍ وفرّغت الكيس حالًا . فاذا شيءٌ شوهد يلمع في وسط بذر الكتّان وكان خاتماً جميلًا من ذهبٍ : فهتفت السيدة باندهاشٍ قائلةً : هذا هو خاتمي الذي اضعتهُ في الخريف الماضي . فلا بدَّ ان يكون قد سقط من اصبعي حين كنتُ اشتغل بجمع بذري ثم التفتت الى التاجر وقالت لهُ : انك خبيثٌ وقد

Digitized by Google

بدت خباثتك كالشمس في رابعة النهـار اذ قصدتَ ان تبيعني بذري نفسهُ كبذرٍ غريب. فعوض ان اعطيـك انا ريالًا الزمك ان تفينيهِ انت نفسك قصاصًا لخيانتك.

وهكذا صار لانهُ في المحكمة حُكم عليهِ بالحبس والغرامية. وهذا الامر ضرَّ صيتهُ ضررًا عظيمًا حتى اضطرَّ الى ترك متجرهِ

ان الخبيث كثيرًا ما يُؤخذ بخباثتهِ رغمًا عن حِيَلهِ التي يحتالها

٢٨ في الكنز المخبوء

١

قرويّان من بلادٍ بعيدة من هنا كثيرًا وقفا ذات يومٍ قدام قاضٍ ما

فقال لهُ احدهما: جاري هذا باعني قطعة ارض فبينما كنتُ افلحها اذ لقيتُ كنزًا فلا تطاوعني ذمتي ان أُبقيهُ عندي لأنني ما ابتعتُ منهُ سوى الارض. فلا حقَّ لي في الكنز

وقال الآخر: انا ايضًا لا تطاوعني ذمَّتي ان آخذ ذلك

الذهب والفضّة اذ لستُ انا الذي خبأَ الكنز وبالنتيجة لا يخصني منهُ شيءٌ . وفضلًا عن ذلك فإنني بعتُ جاري الارض مثلما هي من دون أدنى استثناء . فعليك الآن ايها القاضي الحكيم ان تحكم لأيّنا الكنز

فأجابهما القاضي : بلغني ان ابن احدكما يُريد ان يقترن بابنة الآخر . وحيث ذلك فما عليكما الّا ان تعطياهما الكنز كي يكون جهازًا لهما

فوعدهُ القرويّان الصالحان ان يتّبعا هذا الراي وعادا الى منزلهما مفعمَين فرَحًا

الاستقامة خيرٌ ثمين لنا فانها تُحبّبنا الى أهل الأَرض والسماء

٢

وكان غريب حاضرًا هذا القضاء فأظهر أكبر حيرةٍ وقال لو كانت هذه القضية في بلدي لانتهت على خلاف صورةٍ وما كان الشاري يفتكر اصلًا ان يُعطي البائِع فلسًا واحدًا . ومن ثمَّ كان يحترز كلَّ الاحتراز من إشاعة

Digitized by Google

المكتشف عليهِ. واذا فشا السرّ رغمًا عنهُ رافعهُ البائع الى المحكمة وادّعى عليهِ بالكنز وقامت على ذلك دعوى ربما تُكلف اكثر مما تعدل اللقطة كلها

فتعجَّب القاضي جدًّا من هذا الكلام وسأَل الغريب هل تضيءُ الشمس في بلدكم أَيضًا

أَجابهُ الغريب بلى

قال القاضي هل ينزل عليهِ المطر ايضًا

أَجاب الغريب نعم

قال القاضي ان في هذا لَعجبًا. ولكن هل يُوجد عندكم غَنم وبَقَر

أَجاب الغريب عندنا منها قُطعانٌ كثيرة

فصرخ القاضي قائلًا: أَجَل لا شكَّ ان الله تعالى يجعل الشمس تُضيءُ والمطر ينزِل من أَجل هذه الحيوانات الطاهرة لا من اجلكم لأَنكم انتم لا تستحقُّون هذه الإِحسانات

اذا نزحت الامانة عن الأَرض فلا سلامة تستقرُّ فيها ولا يومٌ سعيد

Digitized by Google

٢٩ في التخم

كان ألُريكوس ساكنًا بيتًا ظريفًا مُحاطًا بجنّةٍ مملوءَةٍ أشجارًا مثمرةً. وكانت الجنّة متّصلة بمرجٍ يخص الجار. فاراد أَلريكوس لقلة ذمتهِ ان يوسّع ملكهُ من مال الغير. فأَخَّر ذاتَ ليلةٍ الى مرج جارهِ كثيرًا حجر الحدّ الدالّ على التخوم الفاصلة ما بينهما

وبعد ما فرغ ألُريكوس من هذا الاختلاس بزمانٍ قليل شاءَ ان يجني كَرَزًا فصعد الى شجرةٍ بواسطة سلَّم

فلما وصل الى اعلى الشجرة وقع الى الوراء هو والسلّم التي كان نصبها بغاية الاستقامة فانكسرت نقرة رقبتهِ على حجر الحد. فلولا ان أُلريكوس لم يؤخِر ذلك الحجر لوقع بعيدًا عنهُ على عشب طريّ من ذلك المرج الاخضر ولكان أَضرَّ بنفسهِ قليلًا. ولذا يقال حقًّا في المثل السائر

ان الله كثيرًا ما يرضى ان يَرى مذنبًا يُعدُّ لذاتهِ عذابًا أليمًا

Digitized by Google

٣٠ في جفنة الكرم

بستاني غرس حول مسكنهِ كثيرًا من جَفن الكرم التي أَضحت أَغصانها وأَوراقها تُظلّل البيت كلهُ وتحمل أَثمارًا لذيذةً فهيَّجت هذه الدوالي حسد احد جيرانهِ الى ان أَتى ليلةً مدلهمةً وقطع كثيرًا من أَحسن الدوالي

فلما رأى البستانيُّ في الغد كرمهُ مقطوعًا هكذا اغتمَّ جدًّا. لانهُ في ذلك الزمان كانوا يجهلون بعدُ كم يجعل التقليمُ الكَرْم مُثمرًا

قال ذلك الساذج: اني مستعدّ للبكاء وكذلك دواليَّ المسكينة كأنها تبكي لنظرها ذاتها مقطوعةً بقساوةٍ. ولكن يا للعجب ان تلك العرائش حملت في تلك السنة عنبًا اجود واكثر من السنين السالفة. وهذه الحادثة خوَّلت البستاني فكرًا جيدًا وهو ان يقلّم كَرْمهُ ليزيدهُ خصبًا

ان الضرَر الذي يفعلهُ بنا عدوٌّ يُصبح غالبًا مُفيدًا لنا

Digitized by Google

٣١ في الكرم

ابٌ اذ كان مشرفًا على الموت قال لبنيهِ : يا اولادي الاعزاء لا يمكنني ان اترُك لكم ارثًا الّا الكرم القريب . لكنما يوجد في هذا الكرم كنز مخبوءٌ . فانبُشوا اذًا الارض جيدًا ولكن احترسوا من ان تؤذوا غِراسكم فتجدوهُ

فعَبَّ وفاة هذا الاب الصالح طفق بنوهُ الثلثة يعزِقون الكرم بأشدّ حرارةٍ ومع ذلك لم يصادفوا ذهبًا ولا فضّةً . ولكن من حيث ان الارض لم تكن الى ذلك الحين مفلوحةً بمثل ذلك الاعتناء اتفق انها أثمرت كميةً وافرة من العنب حتى اندهلوا منها

فيومئذٍ فهِموا جيدًا ما كان المرحوم والدهم يعني بقولهِ لهم عن الكنز المطمور في الارض وكتبوا على مدخل الكرم باحرفٍ غليظةٍ هذا الكلام

من يصرِف كل زمانهِ في شغلٍ متصل يقتنِ في ذاتهِ أعظم الكنوز

Digitized by Google

٣٢ الطيور المغرِّدة

كان في بلادٍ قريةٌ ظريفة حولها غياض اشجارٍ مثمرة. وكانت هذه الاشجار تزهر في الربيع وتنشر أطيب رائحة وتعشّش في اغصانها وعلى السياج المحيط بها جملة طيور صغيرة يرن الفضاء من تغاريدها المطربة. وكانت الاشجار المذكورة تحمل في الخريف تفاحًا وإجَّاصًا وخوخًا

الَّا ان صبيانًا صغارًا ارديا شرعوا يلقطون افراخ الطيور من اعشاشها. فمذ يومئذٍ أخذت الطيور تبارح رويدًا رويدًا ذلك المحل الذي لم يكرم ضيافتها. فلم تَعُد أغاريدها تسمع بعدُ في صبيحات الربيع المبهاج. وغدت البساتين مغتّمة ساكتة وكثرت الديدان المؤذية الزرع التي كانت الطيور تبيدها من ذي قبلٍ كثرةً مخيفةً واكلت الزهور والاوراق حتى اضحت الاشجار عاريةً منزوعة الوَرَق كانها في نصف الشتاء. والاولاد الارديا الذين كانوا يتمتعون رغدًا بتلك الاثمار اللذيذة لم يعودوا يبصرون شيئًا منها دائمًا

Digitized by Google

ان الله يدبر الطبيعة تدبيرًا آئلًا لعظم خيرنا فمن يشوّش هذا النظام يتطلّب القصاص لنفسهِ

٣٣ في الكناري

كانت كريستينا تسأل امها ان تشتري لها كناريًّا صغيرًا فاجابتها هذه: ستحصلين عليهِ ان صرتِ عاقلةً مشتغلةً طائعةً. فوعدتها كريستينا بذلك

ففيما كانت كريستينا ذات يومٍ راجعةً من المدرسة قالت لها امها انني خارجةٌ لغرض وارجع عما قليلٍ: فهوذا على المائدة علبةٌ صغيرة جديدة فإِيَّاكِ ثم إِيَّاكِ أَن تفتحيها او تمسّيها. فان أطعتِ هذا الامر فاسرّكِ سرورًا عظيمًا عند قدومي

الَّا ان تلك الابنة حالما ولَّتْ امها مسّت العلبة قائلةً: هذه خفيفة جدًّا وأرى في غطائها ثقوبًا صغيرة فما عساها تحوِي. ولظنها ان امّها لا تشاهدها فتحت العلبة. فاذا بكناريٍّ صغير ظريف اصفر اللون كلهُ فرَّ وأَخذ يرفرف في الغرفة مُغرِّدًا تغريدًا مطربًا

فارادت كريستينا ان تمسكهُ بسرعةٍ وتضعهُ في العلبة حتى لاتقدر امها ان تلحظ شيئًا مما فعلت . فبذلت كل جهدها في ذلك وهي تركض من اول الغُرفة الى اخرها وراء ذلك الطائرِ النشيط حتى انقطع نفسها واحمرَّ خدَّاها . فاذا بامها دخلت وقالت لها : ايتها الابنة العقوق اعلمي اني كنتُ ناويةً ان أُعطيكِ هذا الكناريّ الظريف لكنما اردتُ قبلًا ان ارى هل كنتِ تستحقينهُ . فاذ خبرت من جديدٍ عدم طاعتكِ ها انا ذاهبة لأَردّ على الفورهذا الكناريّ لبائع الطيور

يجب على الولد الكامل ان يعمل المفروض عليهِ من دون ان يسأَل ذاتهُ هل يراقبهُ احدٌ

٣٤ في الزرزور

كان في غرفة موريسيوس الصياد القديم زرزورٌ كان ربّاهُ وعلَّمهُ ان يلفظ بعض كلمات فتعلمها جيدًا . مثلًا اذا قال لهُ معلمهُ : يازرزور اين انت . فكان يجاوبهُ حالًا : هآءنذا

وكان الولد كارلوس ابن احد جيرانهِ يلتـذّ دائمًا لذة خصوصية بنظرهِ وسمعهِ ذلك الزرزور. وكثيرًا ما كان يزورهُ. فجاء كارلوس ذات يومٍ في غياب الصيّاد فلقط الطائر بسرعةٍ ووضعهُ في جيبهِ وكاد يفرّ بسرقتهِ

واذا بالصياد دخل وقتئذٍ ووجد كارلوس في غرفتهِ. واراد ان يسلّي جارهُ الصغير. فنادى الطائر كجاري عادتـهِ يا زرزور أَين أنت

اجابهُ الطائر بكل قوتهِ وهو مخبوء في جيب الصبي: هاءَنذا. باطلًا يحاول الانسان أَن يخفي سرقتهُ. لأَن المذنب لا بُدّ ان يظهر أَخيرًا

٣٥ في الديك

صاحبة بيتٍ نشيطة كانت كل صباحٍ تُوقظ خادمتيها عند صياح الديك. فهاتان اغتاظتا جدًّا من ذلك الحيوان المسكين وذبحتاهُ حتى يمكنهما ان تستمرّا زمانًا أَطول في السرير. ولكن ماذا حدث. ان مديرة البيت المُسِنه اذ لم تعُد تعرف

Digitized by Google

في اية الساعة كانت توقظهما شرعت منذ ذلك الحين
تنبهما قبل الميعاد حتى واحياناً عند منتصف الليل

من يروم ان يتخلَّص من ضيق خفيفٍ كثيرًا ما
يجلِب على نفسهِ اكبر عناء

٣٦ في الدجاجة

عجوز فقيرة كان لها دجاجةٌ تبيض كل يوم بيضةً .
فلم تُرد ان تقنع ببيضةٍ واحدةٍ بل سمَّنت الدجاجة لظنها
انها تحصل بهذه الطريقة على بيضتين او ثلاثٍ كل يومٍ .
لكن كثرة العلَف سمّنت الدجاجة بزيادةٍ حتى قطعت البيض

اقتنع بقليلٍ من الخير فمن طلب الزيادة ألجأهُ الأمر
الى الحرمان

٣٧ في عُشّ الطائر

صبيّ شريرٌ قاسي القلب كان ينبسط بان يطلب
الأعشاش في كل موضعٍ ويفقأُ عيون الأفراخ بفرحٍ بربريّ .
وكانت امهُ كثيرًا ما توبِّخهُ على ذلك قائلةً لهُ : ايها الولد

Digitized by Google

الكافر افهم جيّدًا ما أُنذِرك بهِ . إن لم تتُب فلا شكّ ان الله يعاقبك . لكن الصبي الشرير كان يضحك سرًّا من انذار والدتهِ الصالحة ويزداد رداءةً يومًا فيومًا

في نهار احدٍ عِوَض أن يذهَب الى الكنيسة انطلق الى الغابة كي يأتي هناك قساواتٍ جديدة . فكشَفَ عُشَّ طيورٍ كبيرة في رأس سنديانةٍ عاليةٍ جدًّا . في الحال صعد الى الشجرة وخطف من العش فرخًا وألقاهُ الى الارض بعنفٍ . وفيما أوشك أن يستولي على الفراخ الأُخر اذا ابوها وامها اللذان كانا من الطيور الجوارح المخيفة فقأا عينيهِ بنقر مِنقادَيهما

من لا يسمع من الله ولا من والديهِ يعرّض نفسهُ عاجلًا او آجلًا لعقوباتٍ هائلةٍ

٣٨ في النحل

١

دخل ألبرتوس ذات يومٍ الى بستان جارهِ فنظر

Digitized by Google

وردةً بهيَّةً مزيّنةً كلها بالزهور . فقطف وردةً وقال : أُريد ان استنشق طيب عرفها على مَهلي . فلما أَدناها من مَنخرهِ وهي نصف متفتحةٍ شعر للوقت بوجع اليم . لان نحلةً كامنةً في كمّ الوردة قرصتهُ في منخرهِ لان الولد الطـائش كاد يعسها

كل لذَّةٍ تُذاق بلا فِطنـةٍ من الممكن ان تُعرّض للعذاب

٢

فالبرتوس الذي كان سيّئَ الخُلق غضب غضباً شديداً وتناول من مَدَر الارض وضرب بهِ الخليَّة . فهاجت النحل هيجاناً عظيماً وهجمت عليهِ أَفواجاً وأَضنكتهُ بلدغاتها حتى وقع في مرضٍ عُضال وقاسى أَوجاعاً اليمة . ولم يُتوصل الى انقاذ حياتهِ الَّا بالجهد الجاهد

من لا يعرِف ان يحتمل أَوجاعهُ بجراءةٍ يستحق ان يكابد اكثر منها

Digitized by Google

٣٩ في الذبان والعنكبوت

كان شابٌّ اميرٌ كثيرًا ما يقول لأَيَّة غايةٍ خلق الله الذبان والعنكبوت فان هوام مثلها لا تفيد البشر مطلقًا . ولو امكنني لمحقتها عن وجه الأَرض

فهذا الامير اضطرَّ يومًا في زمن الحرب الى ان ينهزم من قدَّام العدو . فلما كان المساءُ اضَّجع تحت شجرةٍ في وسط الغابة تَعِبًا معيًّا وبعد هنيهةٍ نام . فرآهُ جنديٌّ عدوٌّ فزحف اليهِ بهدوء والسيف في يدهِ ليقتلهُ . فاذا بذُبابةٍ جاءَت وقتئذٍ ووقفت على خدّ الامير ولسعتهُ لسعةً اليمةً حتى أَيقظتهُ . فقام واستلَّ سيفهُ فهرب الجندي

وركض الامير من هناك واختفى في مغارةٍ بالغابة نفسها . فمدَّت عَنكباءُ في الليل نسيجها على باب المغارة . وكان جنديَّان عدوَّان يطلبان الامير الهارب . فاجتازا صباحًا امام المغارة وسمع الامير حديثهما . فقال احدهما انظُر فلا شكَّ انهُ قد توارى هنا . اجابهُ الآخر: كلا فانهُ لو كان هنا ما امكنهُ

الدخول بدون ان يمزّق بيت العنكبوت

فاذ ارتحلا هتف الامير مضطربًا ورفع يديهِ الى السماء قائلًا: اللهمَّ ايّ شكرٍ اقدِمهُ لك انت الذي انقذتني امس بواسطة ذبابة وحفظتني اليوم بواسطة عنكباء . اي نعم ان الحكمة السامية دبّرت تكوين اعمالك كلها

ان ادنى ما يوجد من الحيوانات وان كان حقيرًا يستطيع أَحيانًا ان يدفع عن الانسان شرًّا عظيمًا

٤٠ في السمكة المليحة

صيادٌ كان يقذِف في بحيرةٍ من فجر الصبح . ويلقي شباكهُ عبثًا . وقد مضى النهار عليهِ من دون ان يستطيع سبيلًا الى صيد أَدنى سمكةٍ صغيرة

فلما قرب الليل أَدار قاربهُ الى جهة قريتهِ ورجع حزينًا كئيبًا . ففكر في نفسهِ قائِلًا: ربما نُحِست هذا النحس لانني اهملتُ طلب البركة من الله . لكنني من الآن فصاعدًا احرص كثيرًا ان لا يفوتني ذلك

فحالما قصد في باطنــهِ هذا القصد الصالح اذا بسمكة كبيرة عند ما رأت انها مطاردة من سمكةٍ اكبر منها واقوى قفزت خارج الماء ووقفت في القارب وجعلت تتقلّب بين رجلي الصيّاد الذي أضحى فرحان جدًّا بهذه اللقطة

كل ما استحال على الجهد البشري يتمّ بسهولةٍ بالعون الالهي

٤١ في الكُلَيب

سيّدة اسمها كارولينا كانت يومًا تتنزّه على شاطئ نهرٍ صغير . فصادفت هنــاك زمرةً من الاولاد الاوباش الأرذياء مستعدّين لان يجرُّوا على الجسر كلبــاً صغيرًا كي يطرحوهُ في الماء ويغرِّقوهُ . فحنّت كارولينا على ذلك البهيم واشترتهُ واخذتهُ الى قصرها

فألف الكلب حالًا صاحبتهُ الجديدة ولم يترُكها دقيقةً واحدة . ففي ذات ليلةٍ حين دخلت الى غرفتها لترقُــد أتى الكلب ليشمّ تحت السرير . فطفق يعوي . فأخذت كارولينا

المصبـاح وتطلّعت الى ما تحت السرير فابصرت رجلًا ذا هيئةٍ مُذعِرة . وكان ذلك لصًّا اختفى هنالك

فعند هذا المنظر الهائل صرخت كارولينا المسكينة صراخًا شديدًا تستغيث فاسرع جميع سكّان القصر اليها وقبضوا على اللصّ وأسلموهُ الى الحكومة . وقد أقرّ معترفًا عند استنطاقهِ ان نيتهُ كانت ان يقتُل السيدة وينهب القصر

فقدمت كارولينا الحمد والشكر لله تعالى لكونهِ خلّصها بهذا التوفيق وقالت ترى مَن وقع في فكرهِ ان هذا الحيوان الصغير الذليل الذي نجّيتهُ من الموت ينجّيني هو ايضًا

احلم على البهائم فتستحقّ نعم الرب

٤٣ في الغنم

١

فيما كان راعٍ شابٌّ يرعى غنمهُ في الجبال . جلس ذات يوم على قطعــة صخرةٍ في ظلّ شجرة راتينج ونام . وفيما هو نائمٌ انحنى راســهُ الى ما قدام وكان طورًا يرتفع وطورًا

Digitized by Google

يخفض. وكان كبشٌ يرتعي قرب النائِم فظنَّـهُ يدعوهُ الى القتال ويُغريهِ بان ينطحهُ بقرنيهِ فتنمَّر وتقهقر بعض خطوات ليتمكَّن من الوثوب وهجم على صاحبهِ ونطحهُ بغاية العنف

فلما رأى الراعي ان الكبشَ أيقظهُ من نومهِ اللذيذ بمثل هذه الخشونة غضب غضباً شديداً. وقام مغتاظاً وأَمسك الكبش ورماهُ في هوتةٍ قريبة. فاذ ابصرت الغنم ذلك قفزت كلها خلفهُ وهلكت شرَّ هلاكٍ على الصخر. حينئذٍ نتف الراعي شعرهُ آئِساً وقال:

الويل لمن لايعرف ان يقمع غضبهُ فيلقيهِ في شرٍّ هائلٍ

٢

فذاعت حالًا واقعة ذلك القطيع التعيس المحزنة الى جميع الاصقاع القريبة من الجبل. فراعٍ مسنٌّ عاقلٌ فاضلٌ استعمل هذه القصة استعمالًا مفيداً جداً

وهو انهُ لما رام بنوهُ وبناتهُ ان ينطلقوا الى المدينة يوم

موسمٍ كي يتنزّهوا وخصوصاً كي يرقُصوا . قال لهم والدهم : هذا لا يليق بكم إذ في مثل هذه الاجتماعات تحدث أَشياءٌ غير جيدة . وقد ربَّيتكم انا بالعفاف والفضيلة فيمكن ان تضيعوهما معًا في ذلك المحل بسهولةٍ

فقالوا لهُ : يوجد خلقٌ كثيرون غيرنا لا يخشَون الذهاب الى هناك

أَجابهم ابوهم نعم : ان شُبَّانًا كثيرين ذهبوا اليهِ . وهناك فقدوا صحتهم وراحتهم وصيتهم وطهارتهم . فهل تريدون ان تقتدوا بهم في هذا الامر . فايَّاكم ان تفعلوا مثل الغنم . لانكم تعلمون انهُ اذا وثبت شاة منها الى هاويةٍ تتبعها البقية كلها . ولذاكم السبب تسمُّونها بهائم لا عقل لها . غير ان الانسان الذي يرمي بنفسهِ في وَهْدةٍ لأَن الغير سقطوا فيها ليس باعقل من تلك البهائم وهو فاقد الدراية ولا يُعدّ الَّا حيوانًا بليدًا

اذا هلك الشرير في وَهدة الرذيلة فاهرُب من هوَّة الأَميال السيّئة

Digitized by Google

٤٣ في الفرس المسروق

أَكَّارٌ كان لهُ فرسٌ من جياد الخيل . فسُرق ليلةً ما من إصطبلهِ . فذهب الى سوق الخيل التي كانت بعيدةً من هناك ستين كيلو مترًا بنية ان يشتري فرسًا آخر .

فاذا فرسهُ ما بين الخيل المعروضة للمبيع . فعرفهُ وللوقت قبض على لجامهِ وصرخ باعلى صوتهِ قائلًا : هذا الفرس يخصّني وقد سُرِق من عندي منذ ثلاثة ايام

فقال لهُ بفرط أدبٍ ذاك الذي كان يريد ان يبيع الفرس : يا صاح انك غلطت فاني متملك هذا الفرس مُنذ اكثر من سنة . فقد يمكن انهُ يشابه فرسك لكن في الحقيقة هو لي

حينئذٍ وضع الفلّاح يديهِ بسرعةٍ على عينيّ الفرس وهتف قائلًا : أَجَلْ . من حيث كونك متملك هذا الفرس مُنذ مدّة طويلة قُل لي أيّ عينَيهِ عوراء اذ لا بُدَّ من ان تعرفهُ

فالغريب الذي كان حقًّا قد سرق الفرس ولم يفحصهُ بعدُ جيّدًا التبك . أمّا لما اضطرّ الى ان يقول شيئًا فأجاب

ارتجالاً: العين الشمال

فقال لهُ الفلاَّح: ما عرفت لان العين الشمال ليست عوراء

فصاح ذلك الخبيث: صدقتَ فاعذرني. انني كنت أُريد ان اقول العين اليمنى فقلت غلطاً العين الشمال نَعم انهُ اعور العين اليمنى

وحينئذٍ كشف الفلاح عيني الفرس وقال: قد وضح الآن غاية الوضوح انك لست سوى لصٍّ وكذَّاب. تعالوا وانظُروا ايها القوم ان الفرس ليس باعور وانني لم اقترح تلك الاسئلة الَّا لاخزاء هذا الشقي

فتقهقه جميع الحاضرين ضحكاً وصفَّقوا بالايدي هاتفين: عافاك الله. لقد أوقعتهُ بالفخ

فأُكره اللص على ان يردَّ الفرس وقُبض عليه واقتيد الى المحكمة وقاسى ما استحقَّ من العقاب

مهما كان الخبيث محتالاً في خداع الغير فلا بُدَّ لهُ يوماً من الوقوع بأَخبث منهُ

Digitized by Google

٤٤ في الثور

أبٌ كان يوماً يحدّث أولادهُ في ان عادة العمل تقدر ان ترقينا في كل شيء الى أعلى دَرَجةٍ من الكمال فقال لهم : وها أنا احكي لكم مثلًا يستحقّ الاصغاء .
قيل كان مرّةً رجلٌ يطوف في البلاد بثورٍ لكي يُري الجمهور ضرباً من القوّة الخارقة العادة . كان يضع على منكبيهِ ذلك الحيوان بمرأى عددٍ وفيرٍ من المشاهدين ويحملهُ وقتاً طويلًا دائرًا بهِ في الشارع . وكان يكسبهُ ذلك دراهم كثيرة

فسألهُ بعض أُناس كيف بلغ الى هذه الدرجة من القوّة . اجابهم : لما كان هذا الثور عِجلًا كنتُ احملهُ كل يوم بعض ساعاتٍ على كتفيَّ وأدور بهِ في فِناءي . نعم ان الحيوان كان يتزايد ثقلهُ يوماً فيوماً . لكنَّ قوتي كانت تزداد بمقدار ذلك حتى صار ثقل الثور لا يمكنهُ ان يعسني الآن

ثم قال الأب . سواءٌ كان هذا الحادث صدقًا او كذبًا فلا يخلو من ان يفسّر لنا تفسيرًا عجيبًا معنى هذا

القول القديم

لا شيءَ يصعب على العمل الدائِم . والممارسة الطويلة تجعل الانسان حاذقًا بكل شيءٍ

٤٥ في الحمار

بستاني تأهَّب للذهاب الى سوق المدينة القريبة ليبيع بقولًا . وحمَّل حمارهُ منها حملًا كبيرًا حتى لم يكد يُرى رأس الحيوان المسكين ولا قوائِمهُ الاربع

وفيما كان سائرًا بهِ في الطريق اجتازا بغيضة صفصاف فارتأى البستاني ان يقطع منها بعض حُزَم ليعمل منها رُبطًا . فوضعها على الحِمل قائلًا : زيادةٌ خفيفةٌ كذا لا تؤذي حماري

ثم جاءَا بعد ذلك الى أَجمة بُندُقٍ . فاختار منها البستانيُّ بعض قضبان رفاع ليجعلها دعائم لزهورهِ وقال : هذه خفيفة جدًّا لا يكاد الحيوان يحسّ بها . وعند ذلك وضعها ايضًا على الحمار

ثمَّ لما علت الشمس فوق الأُفق واشتدَّت حرارتها ترع

البستانيّ عباءتهُ ورماها على باقي الحمل قائلًا : لم يبقَ علينا سوى خُطوتين الى المدينة . وهذه العباءة التي اقدر ان ارفعها بخنصري لا تُعدُّ شيئًا

فعندما تفوَّه بهذه الالفاظ تَعِس الحمار ووقع ولم يقُم منسحقًا تحت حملٍ ثقيل بزيادةٍ

حينئذٍ ارتعش البستانيُّ وأعول قائلًا . الآن علمتُ ولات ساعة علمٍ انهُ لا ينبغي ان يوضع على الناس ولا على البهائم حملٌ يفوق طاقتها

متى كان الحمل ثقيلًا فأخفُّ زيادةٍ تضحي غير محتملةٍ وتقتادنا الى القبر

٤٦ في البغل

لصّان أَخذا بغلًا وساقاهُ الى وسط غابة . ثمَّ شرعا يتشاوران على الثمن الذي يمكنهما ان يبيعاهُ بهِ وعلى كمية المبلغ الذي ينبغي ان يأخذهُ كل واحدٍ منهما حصةً لهُ فقام بينهما تنازُع اتصلا بهِ الى ان تضاربا

Digitized by Google

وفي غزّ تلك المشاجرة دنا منهما خفيةً لصٌّ ثالث وركب البغل وغاب من غير ان يُرى . ولم يشعرا بذلك الا بعد ما صار الحيوان بعيداً عنهما ولم يعودا قادرين على استخلاصهِ . فنظرا اليهِ نظر الحزين المتأسف . وحينئــذٍ هتف أحدهما قد صدق المثل القديم ان ما يجيء بالمزمار يذهب بالطبل

وقال الآخر : أَجَل . يمكن ان تزيد على ذلك انهُ فيما ان خصمين يتنازعانَ على شيءٍ يأتي ثالثٌ وينتفع منهُ

٤٧ في القِرْد

قردٌ وجد شباكاً مفتوحاً فدخل في غرفة كَهلٍ (غنيٍّ لئيمٍ) لم يكن أعطى الفقراء فلساً قطُّ

وكان ذلك الرجل القاسي القلبِ غائِباً وقتئذٍ . فلما أَبصر القرد الصندوق المملوء من قِطع الذهب والفضّــة أَخذها بقبضتيه ورماها من الشباك

فحــالما رأَى الشعب ذلك اجتمعوا في الطريق وجعلوا يتخاصمون على الدراهم بالملاكمة

Digitized by Google

ولم يجيء البخيل من الطرف الآخر للطريق الَّا حين فرغ الصندوق . فمن يستطيع ان يصف خوفهُ وكآبتهُ عندما نظر ما كان حادثًا امام بيتهِ . فقبلما يلج دارهُ طفق يسبُّ ويهدِّد القرد ويعاملهُ معاملة حيوانٍ لا يعقل

فسمعهُ احد جيرانهِ وقال لهُ . في الحق انهُ قليل العقل من يطرَح الدراهم من الشباك كما فعل هذا القرد لكن اجهل منهُ واشد حمقًا من يخزنها في صندوق من دون فائدة لنفسهِ ولا للناس كما تفعل انت

ان المال يفيد متى استعملهُ الانسان لخير القريب ولفائدتهِ الخاصة

٤٨ في الدبّ

كان دبٌّ ذو سمنٍ مفرط قاطنًا وسط غابةٍ وكان صيادان مبتدئان اسماهما اوبرتوس واوستاكيوس يجولان معًا فلما بلغهما خبرهُ قالا : سنستولي عليهِ عما قليل

فمن ثمَّ كانا يواظبان على الذهاب الى الغابة ليرصُدا

Digitized by Google

الدبّ ويرجعان في المساء الى فُندُقهما وكانا مع إفلاسهما يأكُلان دائمًا أجود لحمٍ ويشربان الفخرخمرٍ ويقولان لصاحب الفُندُق ان جلد الدبّ أكثر من أن يكفي لوفاءِ ما علينا من ثمن الأكل. وفيما كانا يطوفان في الغابة ذات يوم نظرا الدبّ مُقبلًا عليهما يعجّ عجيجًا هائلًا. فصوّب نحوهُ اوبرتوس بندقيّتهُ وأورى النار. لكن اذ جعل الخوف ضربهُ مخطئًا تسلّق بخفّةٍ شجرةً. اما أُوستاكيوس فاذ لم تنطلق بندقيتهُ انطرح من ساعتهِ على الارض وحبس نفسهُ كأنهُ ميت. فأتاهُ الدبّ يشمّهُ فاهُ ومنخرهُ وأُذنيهِ ثم ابتعد عنهُ بدون ان يوذيهُ لأنهُ معلوم ان الدب لا يمسّ الجُثث مطلقًا

حينئذٍ نزل اوبرتوس من الشجرة وأراد ان يضحك من رفيقهِ فقال لهُ. أخبرني بماذا سارّك الدبّ في أُذنك

اجابهُ: قال لي لا ينبغي ان يُباع جلد الدبّ قبل ان يُقتل الحيوان

لا يسوغ ان يُباع سَلَفًا المال الذي انما هو بعد تحت الرجاء

Digitized by Google

٤٩ في الذئب

كان الصبي الصغير يوحنا الكذوب يرعى قطيع غنم على طرف غابةٍ . ففي ذات يومٍ اراد ان يتفكّه بمزاحٍ مضرّ . فجعل يهتف بكل قواهُ قائِلًا : على الذِئب على الذِئب

فالفلاَّحون الذين سمعوهُ بادروا اليهِ من كل جهةٍ متسلحين بفؤُسٍ وعِصيّ . وبعد ان طلبوا الذئب باطلًا عادوا الى بيوتهم وكان يوحنا يضحك سرًّا

وفي اليوم التالي صرخ أيضًا : على الذِئب على الذِئب فأَتى الفلاَّحون ثانيةً ولكن كان عددهم اقلَّ مما كان عشيَّة أَمس . ولما لم يجدوا شيئًا هزّوا رؤُسهم وابتعدوا . وهم يقسمون بالَّا ينخدعوا لأَحدٍ بعدُ في ذلك

ففي اليوم الثالث جاءَ الذِئب حقيقةً فأَخذ يوحنا يصرُخ صراخًا محزنًا : يا لقومي يا لقومي . من الذِئب . من الذِئب . فلم يصغِ ولا أَكَّار واحدٌ الى هذه الاستغاثة فانهزم القطيع كلهُ عاجلًا الى القرية . ومن حيث ان

يوحنا ما كان سريعًا كغنمهِ أَدركهُ الذئب وقطَّعهُ إِربًا إِربًا واقترسهُ

الكذوب لا يُصدَّق ولو قال الحق

٥٠ في الأَسد

عبدٌ شقيٌّ أَبَق من بيت سيدهِ . فأُمسك وحُكم عليهِ بالموت . فاقتيد الى حظيرةٍ محاطة بجدارٍ وأُطلق عليهِ أَسدٌ مذعِرٌ لافتراسهِ وكان الوفُ من المتفرجين اجتمعوا حول الملعَب ليعاينوا ذاك القتال

فمذ رأى الليث فريستهُ هجم عليها بهيئةٍ ذات رجز غير انهُ ما لبث ان توقَّف واظهر فرحهُ مبصبصاً ذنبهُ . واقترب بلطفٍ الى ذلك العبد المسكين وبدأَ يلتطع يدهُ ويثب حولهُ . فبُهت الناس طرًّا منذهلين وسالوا العبد تفسير هذه الآية

فاعطاهم العبد عند ذلك التفسير بهذا الكلام قال: يوم هربتُ من عند مولاي ذهبتُ واختفيتُ في مغارةٍ

Digitized by Google

وسط الغابة . وحالما جئت هناك نظرت هذا السبع داخلًا . فدنا مني وهو يئنُّ أنينـًا مؤلمًا . ومدَّ رجلهُ اليَّ فأبصرتُ شوكة ضخمة مغروسةً فيها . فانتقشتها وضمدتُ جراحتهُ . فبرأَت سريعًا وشرع منذ ذلك الوقت يعاً نني صيدًا . وكنا نعيش معًا في تلك المغارة عينها على اتم الوفاق . في آخر اقتناص جرى لنا افترقنا وأُخِذنا كلانا . فحين عرفني اليوم هذا الحيوان الجيد فرح بلقاءي

فاندهشت الجماعة بهذا اذ رأوا ما رأوا من فرط معرفة الجميل عند ذلك الوحش المفترس وهتفوا بصوتٍ واحد : يعيش الانسان الشفيق والسبع الشكور . فحصل العبد على حريتهِ وأُطلق مغمورًا بالعطايا الثمينة . وعنـدما خرج من المعترَك تبعهُ الاسد نظير كلبٍ ولزمهُ مذ ذاك وصاحبهُ في كل موضعٍ من غير ان يؤذي احدًا

ان الحيوان يذكر دائمًا جميل المحسن اليـهِ فهل يكون اذًا الانسان اقل معروفًا وودًّا

Digitized by Google

٥١ في التبر

اخوان يُدعيان غُستافيوس ولويس سافرا بحرًا الى قسم آخر من اقسام الدنيا يطلبان مالًا هناك

فأُعطي غُستافيوس قطعة ارضٍ بور ففلحها وزرعها بحرارةٍ ونشاطٍ وصيّرها حقلًا مخصبًا آتاهُ عما قليلٍ قمحًا غزيرًا

اما لويس الذي كان اطمع من اخيهِ فتوجَّه الى الجبال والاصقاع حيث يوجد التبر قاصدًا ان يفتش عن هذا المعدن الثمين وعاش هناك عيشةَ شقاء ولم يكن يقتات الّا من اصول الشجر وقشورها . لكنهُ عاد اخيرًا الى اخيهِ بكيسٍ مملوءٍ تبرًا

فقال لأخيهِ : انظُر يا اخي ما احسن المال الذي أَصبتهُ فان كل هذا الذهب يخصّني . نعم انني أَسعد رجلٍ في العالم . ولكن اعطِني حالًا ما آكل فقد أضناني الجوع والتعب

أَجابهُ غُستافيوس : انني اروم ذلك كثيرًا بشرط ان تفيني ثمن كل رغيف ثقلهُ ذهبًا . فالتزم لويس قبول ذلك وان

Digitized by Google

كان شاقًا عليهِ لانهُ كان ضعيفًا وعاجزًا جدًّا عن الانطلاق الى ما هو أبعد

وبعد ذلك بزمنٍ يسيرٍ اذ رأَى غُستافيوس نفسهُ مستوليًا على كل ذهب اخيهِ قال لهُ : يا اخي العزيز هوذا كنزك اردّهُ اليك . اذ لستُ بقاسٍ الى حدّ انني اتملك مالك رغمًا عنك لكني اردتُ فقط ان ابيّن لك ان الغنى لا يخوّننا السعادة وان حبّ الشغل يجلب لنا خيراتٍ ولذّاتٍ اكثر مما يجلبهُ الذهب من تلقاء نفسهِ

من يقوت ذاتهُ من عمل يديهِ يستغني عن الذهب والكنوز البشرية

٥٢ في اللُؤلُؤ

١

مسافرٌ تاه في قفر من القفار المرملة والمحرقة التي يُسار فيها أسابيع كاملة من غير ان يُصادَف ولا مسكنٌ . فلما أوشك ان يهلك جوعًا وعطشًا وجد نخلةً تجري تحت ظلّها

Digitized by Google

عين ماء باردٍ ولقي ايضاً في القرب من هناك كيساً صغيرًا . فجسّهُ قائلًا : تبارك الله لعلَّ هذا ثمر يدفع عني جوعًا . قال هذا وفتح الكيس بشرهٍ وهتف بهولٍ وتوجُّع : يا الهي ما هذا الّا لؤلؤ

ان الخبز الذي تقوت بهِ جسدك أثمن من أعظم الكنوز

٢

فهذا السائح المسكين كاد يموت جوعًا في جانب هذه اللآلئ التي تساوي الوفًا من الريالات . وفيما كان في شدتهِ يتضرَّع الى الله بحرارةٍ . اذ ظهر لهُ في الحال رجلٌ على جملٍ دنا منهُ بكل سرعةٍ وكان هو ذاك الذي قد أَضاع الكيس . فسرّ بوجودهِ إِيَّاهُ فتحنَّن على المسافر وأَعطاهُ خبزًا وأثمارًا لذيذةً . ومن بعد ان تقوَّى بذلك اركبهُ معهُ على جملهِ وقادهُ الى غاية سفرهِ (لم يجعلهُ عرضةً لأَن يضلَّ ثانيةً)

وقال لهُ المغربي : انظر ما أَعجب طُرُق العناية الالهية . انني كنت اعتبر فقدان لآلِئي رزيَّةً كبيرةً مع انهُ ما كان يمكن

Digitized by Google

ان يحصل لي شيء أسعد من ذلك . فاراد الله هكذا حتى اضطررت الى ان ارجع على عَقِبيَّ وأَصل الى هنا كيما أُنقذ حياتك

ان الله يقينا مرارًا من أعظم ضيقة بوسائِط بسيطة في الظاهر

٥٣ في الماس

جوهريٌّ كلَّفتهُ سيّدةٌ عالية المقام ان يصنع لها حِليةً فاخرةً . ولاجلها أودعتهُ السيدة المذكورة كمية من ماسٍ وحجارةٍ أُخر كريمة . وكان للجوهريّ تلميذٌ حدثٌ اسمهُ روبرتوس . فأَعجبتهُ كثيرًا تلك الحجارة المتلألئة والمختلفة الالوان وطاب لهُ ان يتأَمَّلها ولم يستطع ان يحوّل النظر عنها

وللحال المعلم شعر انهُ نقص لهُ حجران من الاحسن . فوقع شكّهُ اولًا على التلميذ فذهب الى غرفتهِ يفتّش تفتيشًا مدقّقًا فوجد الجوهرتين في ثقبٍ بالحائط تحت صندوقٍ عتيقٍ

وما احتجَّ بهِ روبرتوس في تبرئة نفسهِ فقد ذهب باطلًا

Digitized by Google

لأَن معلّمهُ قاصَّهُ قصاصًا شديدًا وقال لهُ ينبغي ان يعدّ ذاتهُ سعيدًا جدًّا من حيث لم يسلمهُ الى الحكومة . ثم طردهُ من عندهِ

فلما كان الغد اختفى ايضًا حجر آخر ولقيهُ الجوهريّ في الثقب عينهِ . فحينئذٍ كمن سرًّا في المرقَب ليكتشف الشخص الذي كان يسرق الجواهر ويحملها الى ذلك المخبأ . فنظر عقعقًا كان روبرتوس ربَّاهُ وآنسهُ قد انقضَّ على الطاولة وأَخذ حجرًا بمنقادهِ وحملهُ الى الثقب

فحزن الجوهريّ حزنًا شديدًا على كونهِ اضرَّ ببرارة روبرتوس واعادهُ الى محلّهِ وأَصلح صيتهُ وعوَّض عليهِ بهدية ثمينة عن القصاص الذي حملهُ إِيَّاهُ ظلمًا

احذَر من أَن تُظهر شكوكك العادمة الفطنة التي يمكن بعض الاحيان ان تقع على الأَبرار

٥٤ في الحصى

كان الشابّ فلوريانوس اجير سوَّاق عَجلٍ وكان اعتاد عادةً سيئة ان يشرب كثيرًا من العرق وجلب على ذاتهِ

Digitized by Google

مَرَضاً عُضالاً . فقال لهُ الطبيب إلاَّ تبطِل عادة شرب هذا المسكر تَمت موتاً شقيًّا لانَّ العرق سمٌّ للشبيبة

أَجابهُ العليل : لا يمكنني الامتنــاع عن ذلك لان عادتهُ قد تأَصَّلت فيَّ جدًّا ولا اقدر ان اعيش بدون أَن آخذ منهُ كل يوم ملءَ هذه القنّينة الصغيرة التي تراها لا اقلَّ ولا أَكثر

اجابهُ الطبيب . فان كان الامر كذلك فســأَفتكر في غير واسطة لشفائك

وفي الغد اتاهُ الطبيب بعلبةٍ ظريفةٍ مملوّة حَصًى نظيفةً وقال لهُ : ضَع كل يومٍ واحدةً من هذه الحصى الصغيرة في قنّينة العرق لكن احترز ان تخرجها منها فبهذه الوسيلة لا يؤذيك العرق أَذًى بليغاً

فتخيَّل العليل ان في تلك الحجارة الصغيرة قوةً تنزع عن العرق فعلهُ المضِرّ . ولم يخلُ ان يتبع بتــدقيقٍ أَمر الطبيب اي كان يضع كل يوم حصاةً زائِدةً في القنينــة وكان شربهُ يقلّ يوماً فيوماً بعض نقطٍ من دون ان يشعر

Digitized by Google

بذلك. واخيرًا لما امتلأَت القنّينة كلها من الحصَى وجد ذاتهُ معتقًا بالتمام من تلك الملــكة السيئة

من يصلح ذاتهُ كل يوم من عيبٍ ينتهي الى ان يجد نفسهُ نقيًّا من كل خباثةٍ

٥٥ في الحجر

رجلٌ غنيٌّ تشاجر هو وفاعل فقير وفي شــدة غيظهِ رشقهُ بحجر. فَلقطــهُ الفقير ووضعهُ في جيبهِ قائِــلًا سيأتي زمانٌ يمكني فيهِ ان اردّهُ على رأس عدوّي

فلما اضطرَّ الغني الى الاستعطــاء لتعجرفهِ وبطالتــهِ وإسرافهِ مرَّ يومًا بازاء خُصّ الفقير لابسًا ثيابًا رَثّةً. ففتّش الفقير عن حجرهِ ليرشقهُ على ذلك المنكود الحظّ. لكنهُ توقَّف لفكرٍ فاجأَهُ وقال: كلّا اذ أَرى الآن انهُ لا يجوز مطلقــًا لاحد ان ينتقم لنفسهِ من عدوّهِ. لأَنهُ إن كان غنيًّا ومقتدرًا كان ذلك ضربًا من الجنون. وإن كان بائسًا فهو ضربٌ من التوحُّش. فعلى كلتا الحالتين لا يليق الانتقــام

Digitized by Google

أبدًا برجلٍ صالح ولا بمسيحيّ

عليك بالصبر دائمًا عوض الانتقام فيحميك الله بقوتهِ القديرة على كل شيءٍ

٥٦ في كيس التراب

رجل غنيٌّ ومقتدر غصب قطعة أرضٍ لأرملةٍ فقيرةٍ لا تملك غيرها لكي يوسّع حديقــة قصرهِ . بينما كان الغنيّ غداة غصبهِ يتنزَّه في الحقل الذي غصبــهُ اذا بتلك المرأة المسكينة دنت منهُ حاملةً بيدها كيس قمحٍ كان فارغًا وقالت لهُ والدموع في عينيها : اسألك يا سيدي ان تتنازل الى ان تمنحني نعمةً وهي ان تأذَن لي أن آخذ من ميراث ابي تُرابًا قدر ما يسع هذا الكيس

اجابها الغاصب : لا استطيع ان أُنكر عليكِ هذه الطلبة

وعند ذلك ملأَت الأَرملة كيسها ترابًا وقالت : اطلب منك الآن نعمةً أُخرى وهي ان تتكرَّم وتحملني هذا الكيس على كتفي

Digitized by Google

فأبى الغنيُّ ذلك وقتًا طويلًا لانهُ ما كان متعوّدًا التعب غير ان الأَرملة ترجَّتهُ وتوسَّلت اليهِ كثيرًا حتى ارتضى بذلك اخيرًا. لكنهُ لما اراد ان يرفَع الكيس هتف: هذا لا أَقدِر عليهِ مطلقًا لأَنهُ ثقيلٌ جدًّا

حينئــذٍ تكلمت الأَرملة بجرأَةٍ قالت: كيسٌ واحدٌ من تُراب هذه الارض ثقيلٌ عليك جدًّا وانت لا تخشى ان تحمل ذمَّتك مدى الابدية كلها ثقل هذا الحقل الذي لا يمكن ان يحويهُ الف كيس مثل هذا

فأَثَّر هذا الكلام في ذلك الرجل الطَمِع وردَّ الحقل الى الأَرملة البائسة. لأَنهُ كان يقول انني أَفهم الآن جيّدًا ان الكنوز المكتسبة بالحرام تكون علينا حملًا ثقيــلًا يعذّبنا مدى الأَبدية

٥٧ في المزرعة

كان ويلّيبالدوس الشيخ رجُلًا شديد المماحكة. قضى عمرهُ في المشاجرات والدعاوي على جميع الناس. ففي ذات

Digitized by Google

يوم رأى أُناساً يفتحون ثقباً في حائِط بيت الجار ليكون هناك شباكٌ جديدٌ . فأراد ويليبالدوس معارضتهُ في ذلك وهدَّد جارهُ بان يرافعهُ الى المحكمة

فأتاهُ كثيرون من سائر الجيران وقالوا لهُ : احذَر في ايام شيخوختك من ان تتعرَّض لدعاوٍ جديدة فانك على الحقيقة لا تستفيد شيئاً في هذه الدعوى الحماقيَّة . اما ويليبالدوس فعوض ان يسمع هذه النصائح الحسنة تاهَّب غضباً وضرب المائدة بكفهِ وهتف بصوتٍ هائلٍ قائلًا : أُعاهدكم انني اكسِب دعواي ولا يكون لجاري اكتشافٌ على داري

قال هذا وأجراهُ فعلًا واقام الدعوى وخسرها مع كل كُلفها . واذ كثرت عليهِ الديون لولوعهِ بالمخاصمة ولم يستطع ان يفي في الحال تلك المصاريف الجديدة التي وصلت الى مبلغ وافر جدًّا أُخذت منهُ مزرعتهُ وأُعطيت لغيرهِ

وامتلكها ميخائيل ابن فلَّاحٍ غنيٍّ . فهذا الامر صير بعض الجيران يتهكَّمون على ويلّيبالدوس قائلين لهُ : قد

Digitized by Google

كسبتَ الدعوى ونلتَ ما كنتَ تبغيهِ لأَن شبَّاكَ الجار لم يُفتح على داركَ بل على دار ميخائيل

متى كنت في دعوى فتوقَّع الخسارة كما تتوقَّع الربح

٥٨ في الجدار العجيب

في آخر سَنة حربٍ ذاق سكان مزرعةٍ صغيرة منفردة مخاوفَ مهلكة وخصوصاً في ليلةٍ كان قلقهم فيها هائلاً. لان العدو اقترب اليهم وكان ظلام الأُفق منقطعاً ببريق الشهب الضاربة الى الحمرة ولم يزل قصف المدفع مسموعاً. وزد على ذلك ان هذا كان في الشتاء والجوّ باردٌ والهواء يهبُّ هُبوباً شديداً. وكان اولئك الناس الساذجون في كل ساعةٍ تحت خطر النهب والحريق والطرد من محلّهم في زمان الفصل الاقسى

واستمرّ الجدّ والجدّة والوالدان والاولاد ساهرين طول الليل مجتمعين في الغرفة نفسها ولم ينفكّوا يطلبون الحماية ممن هو على كل شيءٍ قدير. وكانت الجدّة تتقدّمهم في

تلك الأدعية الدينية وتقرأ بصوت جهرٍ في كتاب صلوات عتيق . فإحدى تلك الصلوات تُعرَف بهذا اللقب صلاةٌ في زمان الحرب كانت فيها هذه الالفاظ : فليرِدْ الرب ان يرفَع حا ئطًا حول هذا البيت ليحميهُ من اقتراب العدو . فابن صاحب المزرعة الذي كان الى ذلك الوقت مصغيًا بفرط عبادةٍ لم يستطع ان يمتنع عن ان يفطنهم عند تلاوة هذا المقال في انهُ ربما يبين طماعًا ذاك الذي يطلب من الله بناء حائطٍ حول البيت

الَّا ان الليل قد مضى ولم يحضر جنديٌّ عدوٌّ امام العودة (ارض مساقاةٍ) فاندهل من ذلك كل السكان . ولكن عند ما ارادوا في الصباح ان يخاطروا بالخروج من البيت عظُمَ اندهالهم اكثر من ذي قبل لان الريح قد كوَّم الثلج كومةً عالية من الجهة التي كان الاعداء قد حشدوا فيها حتى لم يعد ممكنًا لهم ان ينظروا العودة ولا ان يدنوا منها قطعًا

فاجتمعت حينئذٍ كل العائلة لكي يقدّموا للرب الحمد

Digitized by Google

والشكر. فقالت لهم جدتهم. لقد عاينتم الآن يا أولادي ان الله تبارك وتعالى بنى حائطًا ليمنع الدخول الى هذا البيت

من يتوكّل على الله توكّلًا ثابتًا فلا يخشى ان يكون بناؤهُ على رملٍ متزعزعٍ

٥٩ في الرغيف

كان في زمن الجَدْب رجلٌ غنيٌّ يتصدَّق من مالهِ مظهرًا انهُ صاحب جودٍ وكرم. فجمع في بيتهِ كل اولاد المدينة الفقراء وقال لهم: انظروا هذه السلَّة المملوَّة خبزًا فليأخذ كلٌّ منكم رغيفًا منها واعلموا انهُ سيُعطى لكم كذلك كل يومٍ في هذه الساعة الى ان يرضى الله ويبعث لنا اوقاتًا اسعد

فبادر الأَولاد الى السلة وتنازعوا على ايّهم يكون لهُ الرغيف الأَجود. وآخر الامر انصرفوا ولم يخطر لهم ان يشكروا المحسن اليهم

الّا ان ابنةً صغيرة اسمها فرنسيسكا كانت ملابسها تشير الى فقرها مع أنها نظيفةٌ فهذه كانت مبتعدةً قليلًا ودنت آخر الجميع

Digitized by Google

باستحياء وأخذت الرغيف الاصغر الذي تركهُ الأَولاد في السلة ثم لثمت يد الرجل الكريم بعرفة الجميل ورجعت عنهُ بهدوءٍ وحشمةٍ

فلما كان الغد جاء الاولاد وابـدوا ايضًا سوء أدبٍ وفضل لفرنسيسكا المسكينة رغيف اصغر من الأَرغفة الأُخر بقدر النصف . ولكن حين رجعت الى والديها وكسرت امّها المريضة الرغيف وقعت منهُ كميةٌ من قطع فضَّةٍ جديدة

فتحيَّرت والدتها وقالت لها : ارجعي وردّي حالًا هذه الفضة لصاحبها فلا شك انها وُجدت في الرغيف سهوًا

فاطاعت فرنسيسكا للوقت . لكنَّ الرجل المحسن رفضْ استرجاع المبلغ قائلًا : هذا لم يحدث بالسهو بل انا بالقصد وضعت الدراهم في اصغر الارغفة لكي أُكافيكِ ايتها الابنة المحبوبة . فكوني على الدوام هكذا وديعةً صالحةً سهلة الارتضاء . فمن يفضل الاقتناع بالرغيف الاصغر على التنازع للحصول على الرغيف الاكبر يجلب البركة على بيتهِ دائمًا

من يقتنع بالقليل حبًّا بالسلامة يجتذب اليهِ فضل الرب

Digitized by Google

٦٠ في قطعة اللحم

خادما مزرعةٍ اسماهما نيقولاوس وجاورجيوس بعد ما قادا مراكب خشب الى قصر سيدهما دخلا المطبخ. فحالما توارى الطباخ ليذهب الى القبو يفتش عن مُبرّدات ليسقيهم اياها نشل نيقولاوس الخبيث بسرعةٍ قطعة لحم من القِدْر ووضعهـا في جيب جاورجيوس وقال لهُ: اذا رجع الطبَّاخ وسألنا عن قطعـة اللحم فاحلفُ انا لهُ انني ما خبأتها في جيبي وتحلف انت انك ما سرقتها. وبهذه الوسيلة نتخلَّص من الارتباك بسهولةٍ

فعقيب بعض دقائق لذلك رجع رئيس المطبخ ونظر في القِدْر وشعر بالسرقة حالًا. فتفرَّس في ذينك الفلَّاحين بحدة نظرهِ وقال لهما: ماذا جرى لِقطعة اللحم التي فقدت لي. فاجاباهُ على ذلك كما كان الاتفاق بينهما

فقال رئيس المطبخ: انت يا نيقولاوس الذي نشـل اللحم من القدر والدليل على ذلك كمك الملوَّث بشحمٍ.

وانت يا جاورجيوس الذي وضعتها في جيبك إذ يرى الدهن سائلًا منهُ . فيجب عليكما ان تستحييا خجلًا . ولو لم اكتشف خُبثكما فهل تظنان انهُ يختفي على الله الذي يُبصر كلَّ شيءٍ حتى اعماق القلوب ولا يدع ذنبًا بدون قصاص

فالتزما ان يردَّا قطعة اللحم وفضلًا عن ذلك جُوزيا على سرقتهما بمقتضى العدل .

ماذا يفيد الاختفاء عن اعين الناس الفانية والله ينظرنا دائمًا اينما كنا

٦١ في التوابل

اميرٌ فاجأَهُ النوء إذ كان في الصيد والجأَهُ الى ان يحتمي في الكوخ الاقرب

فوصل اليهِ حين كان الاولاد على المائدة مصطفّين حول صحفة ضخمة مملوَّة حريرةً معمولة من جريش الشعير . وكانوا يأكلون جميعهم بقابلية عظيمة . وكانت خدودهم مدوَّرةً طرية كالورد

فسال الأمير امّهم قال كيف يتمّ ان الانسان يقدر ان ياكل بمثل هذه القابليَّة من مثل هذا الطعام الغليظ ويكون مع ذلك ذا الوان ناضرة وصحةٍ هكذا متلالِئة

أجابتهُ الامّ هذا يتأتى من ثلثة أنواع من التوابل التي تبَّلت بها هذا الطعام . احدها يقتضي ان اولادي يكسِبون غذاءهم بالشغل . والثاني انني احترز جيدًا من ان أُعطيهم شيئًا يأكلونهُ بين الغداء والعشاء لكي يكونوا جياعًا عند ما يجلسون على المائدة . والثالث انني عوّدتهم ان يكتفوا بما يحصلون عليهِ ولم اعرّفهم قط ما هي الحُلوَيات

الذي يُطيب كل شيءٍ الشغل والجوع وسلامة القلب

٦٢ في الطعام المشتهى

تاجرٌ دعا كثيرين من احبَّائهِ ليتغدوا في بيتٍ لهُ في البرية على شاطىء البحر واعدًا إِيَّاهم ان يطعمهم نوعًا من السمك البحريّ كان وقتئذٍ نادرًا ومرغوبًا جدًّا . فمن بعد ما قدَّم لهم مآكل أُخر كثيرة أحضر لهم نحو آخر الغداء

Digitized by Google

صحنٌ كبيرٌ مغطًّى ظنَّهُ المدعوون المسرورون ان فيه السمك الموعود . لكن حين كُشِف الصحن ما وُجد عوض السمك المذكور سوى بعض قطع ذهب

فحينئذٍ اخذ التاجر يخاطبهم قائلًا : يا احبَّاءي ان السمك الذي قصدتُ ان اطعمكم اياهُ اليوم غالٍ في هذه السنة اكثر ثلث مراتٍ مما كنتُ اظنّ . ويُباع كل فرخٍ منهُ الى حدّ عشرين فرنكًا . فجاء في بالي عند ذلك ان في هذه المدينة فاعلًا مريضًا محاقًا هو وعائلتهُ باهوال الجوع والمسكنة قاطبةً . وان المبلغ الذي يعدلهُ صحنٌ واحد من السمك المذكور يكفي لان يقوت اولئك الفقراء مدة ستة اشهر . فان الحتم عليَّ في ان اقوم بقولي لكم فاشتري السمك المنوَّه بهِ واقدّمهُ لكم على جناح السرعة . ولكن ان رضيتم بان نعطي الدراهم لتلك العائلة البائسة فاحضر لكم سمكًا آخر بحريًا إن يكن اقلّ ثمنًا منهُ فليس باقلّ لذةً

فجميع مدعوي ذلك الرجل المحسن استحسنوا رأيهُ .

Digitized by Google

وللوقت قام كل واحدٍ منهم واضاف ايضاً قطعة ذهب الى تلك التي كانت في الصحن. فنجت العائلة البائسة من المسكنة اقلهُ مدة سنةٍ

عوض ان تُبذر مالك في المآكل اللذيذة اسعف بها الفقراء المحتاجين

٦٣ في نعل الفرس

قرويّ ذهب غدوةً ليجول في البرية ومعهُ ابنهُ الصغير المدعو توما. ففيما هما يتمشّيان قال الاب: هوذا قطعة من نعل فرسٍ وقع في الطريق. خُذهُ وضعهُ في جيبك

أجابهُ الصبي الصغير: وَيْ هذا يوازي العناء حتى ينحني احدٌ ويتناولهُ

فاخذ الاب الحديدة ووضعها في جيبهِ من دون ان يفوه بكلمة. ولما وصل الى اول قريةٍ باعها للبيطار بعشر بارات اشترى بها كرزاً

ثم سارا في سبيلهما وكانت الشمس محرقةً ولم يُرَ في

احدى الجهات بيتٌ ولا شجرةٌ ولا ينبوع ماء . فعطش توما عطشاً شديداً وكان بعناءٍ جزيلٍ يتبع اباهُ الذي كان يخطو خطواً مكيناً

واذ أَسقط الاب كرزةً كأَنَّ ذلك عن غفلةٍ لقطها توما بشوقٍ حاركاتها من ذهب وأَدناها حالًا الى فمهِ . وبعد ذلك ببعض خطوات اوقع ابوهُ كرزة اخرى . فلقطها توما بسرعةٍ كاول مرةٍ وعلى هذا النمط جعله ابوهُ يلقط كل الكرز الواحدة بعد الأُخرى

فلما بلغ توما الأَخيرة وقف ابوهُ والتفت اليهِ وهو يتقهقه ضاحكاً وقال لهُ : انظر يا ولدي كيف لو شئتَ ان تحني مرةً واحدة لتلتقط قطعة الحديد لما أُحوجتَ الى ان تتعب ذاتك مائة مرة لتلتقط الكرز

من يجتنب تعب دقيقةٍ يُعرّض نفسهُ غالباً لاحتمال تعبٍ اكبر جدًّا

٦٤ في المسمار

قرويٌّ أَسرَج فرسهُ لينطلق الى المدينة . فقبل ان

يركب كان قد رأى ان احدى النعـــال ينقصها مِسمار .
فقال : لا بأس مِسمارٌ ازيد او انقص لا يؤثر شيئًا وسافر

فبينما هو في الطريق ضيَّع الفرس نعلهُ فقال . لو كان
هنا بَيطارٌ لبيطرتُ فرسي . ولكن من حيث انهُ لا يوجد .
فيمشي جيدًا بالثلاث النعال الباقية لهُ

الآن الحيوان انجرح في طريقٍ مصخرٍ وبدأ يعرَج . ومن بعد
ذلك باربعة اميال وثب اثنان من قطَّاع الطريق كانا في غابةٍ كثيفة
قاصدين سلب الرجل . واذ كان راكبًا فرسًا كسيحًا لم يمكنهُ الهرب
بسرعةٍ فأدركهُ اللصان وسلبا منهُ فرسهُ مع اللجام والسرج والجراب

فاضطرَّ ان يرجِع الى بيتهِ ماشيًا بلا فرس ولا جراب
وقال وهو كئيب . ما ظننتُ قطّ انهُ بسبب نقص مسمارٍ
أخسر الفرس

فما يقولهُ المثل السائر ينطبق على الاشياء الزمنية كما
ينطبق على الأَشياء الابدية وهو

ان ادنى تهاون بالامور الدنيَّة يجلب أضرارًا باهظةً جدًّا

Digitized by Google

٦٥ في إحسان اميرٍ فرنسويّ

ضابطٌ مسنٌّ مُعيل من ضبَّاط العساكر وجد يوماً بروضة فرساليا الدوكا دي بيري الذي كان وقتئذٍ فتًى ابن اثنتي عشرة سنة . فحين كان يتمشَّى وحدهُ بعيدًا عن اهل حشمهِ . سلّمهُ الجنديُّ الشيخ ورقةً عرض بها بكلامٍ وجيز خِدَمهُ الطويلة والحال المرثيّ لهُ الذي هو عليهِ منذ زمنٍ مديدٍ

فأَجابهُ الامير الفتى ببشاشةٍ وحنوٍّ : ما معي شيءٌ في هذا الوقت ولكن عليك ان تلاقيني غدًا في الصيد فآتيك باسعافٍ ما

فاتى الجنديُّ المسكين الى المحل المعهود في الميقات عينهِ . وبلغ الى ان وقف حيث كان الدوكا الصغير. فهذا حالما نظرهُ نأى قليلًا ثم استغنم فرصةً لم يكن فيها احدٌ محدّقاً عينيهِ فيهِ ونشل من جيبهِ كيساً ضمنهُ ثلاثون ليرة وأَلقاهُ الى يدهِ

وكانت تلك الدراهم خرج جيبهِ مدة شهر. والذي يزيد خصوصاً ثمن هذه الفعلة الحميدة هو الاحتراس الذي

بهِ الفتى المحسِن أوصى الفارس الفقير بكتم السرّ وقد اجتهد هو ايضًا باخفائهِ . لكنهُ لم يتأخَّر أَن فشا . فانظر كيف اتَّفق ذلك

مساء يوم الصيد عينهِ طلب الملك لعب الشطرنج واستدعى الدوكا دي بيري الى اللعب . فاعتذر عن ذلك بحجج مختلفة . فتعجب الملك من اباء كذا لم يكن اعتياديًا وزاد ايضًا في الالحاح على ابنهِ . فصار الفتى الامير في ارتباك شديدٍ لانهُ من جهةٍ لم يكن يريد ان يكذب ومن جهةٍ أُخرى كان يخاف ان يوضح الأمر

فإذ لم يعرف الدوكا دي بيري باي شيء يحتجُّ . أَقرَّ بعدم وجود دراهم معهُ . فسأَلهُ الملك ما فعلتُ اذًا بالدراهم التي اخذتها أَمسِ

أَجابهُ الدوكا الصغير وهو مستحيٍ : يا جدّي اعطيتها لفارسٍ شيخ من فُرسان مارلويس أَصابهُ الفقر . ولو كان معي اكثر لحرمت نفسي منهُ ايضًا شفقةً عليهِ اذ لا شيء يؤلمني اكثر من ان أُشاهِد في حال الضيق جنودًا صناديد قد خدموا المملكة جيدًا

فدهش الملك لويس الرابع عشر من خلوص سريرة نيَّة حفيدهِ ومن حُنوّ نفسهِ الكريمة وضمَّهُ الى صدرهِ ضمَّات كثيرةً مع انهُ لم يكن ملاطفًا . ودعاهُ الى ان يأخذ في كيسهِ حتى يمكنهُ ان يلعب . وفضلًا عن ذلك قد زاد خَرج جيبهِ اثني عشر فرنكًا كلَّ يومٍ

ان السعادة الحقيقية والمسرَّة الخالصة قائمتان في عمل الاحسان

٦٦ في شبَّابة الراعي

ملكٌ كان عندهُ خازنٌ ارتقى بجودة عقلهِ واوصافهِ من حال الرعاية الى ذلك المقام المنيف . فحسدهُ بعض الاعداء على سموّ سعادتهِ ووشوا بهِ الى الملك انهُ حوَل الى نفعهِ كنوز الملك واضافوا الى ذلك انهُ خبأها في قبوٍ خصوصي لهُ باب من حديدٍ

فأَراد الملك جلاء هذا الامر فزار خازنهُ وطلب منهُ ان يفرّجهُ على كل محلات بيتهِ . فلما شاهد الباب الحديد أَمر بفتحهِ . فيا لهُ من تحيُّر اعتراهُ عند ما دخل ذلك المكان

ولم يرَ فيهِ الَّا أربعة حيطان ولم يجد من الامتعة غير طاولةٍ فلاَّحية وكرسيّ من قشّ . وكان على الطاولة شبَّابةٌ وعصاً وجراب راعٍ . وكان الشبَّاك يُطلُّ على مُروجٍ مخصبة مخضرة وجبال شجرةٍ

حينئذٍ قال الخازن كنت أرعى الغنم . وانت يا ايها الملك احضرتني الى قصرك . فمن بعد رفعتي هذه كنت اقضي كل يوم ساعةً في هذا القبو متذكّرًا الافراح البهجة التي كانت لي في حالتي الأُولى . ومكرّرًا على شبابتي الالحان التي كنتُ اتغنَّى بها قبلًا تسبيحًا للباري عزَّ وجلَّ بينما كنتُ ارعى قطيعي بسكينةٍ . اه ايها العاهل ائذن لي ان أَعود الى سهول وطني حيث كنتُ اقضي عيشةً أَسعد كثيرًا من العيشة في وسط كل فخفخات القصر الملكيّ

فغضب الملك غضباً شديداً على اهل بلاطهِ الأَردياء الذين وقعوا في ذلك الرجل الخيّر . وعانقهُ متوسّلًا اليهِ ان لا يتركهُ

ليس الذهب ولا العظمة يجعلاننا مغتبطين . لان السعادة الحقيقية توجد في القلب الفاضل

Digitized by Google

٦٧ في الخُرْج

كان ملكيور منطلقًا الى البرية حاملًا على كتفهِ خُرجًا مملوءً الطرفين. وفيما هو سائرٌ اذ أَتى كازيير ورافقهُ. ولم يفتأ ملكيور مدى الطريق كلهِ يتكلَّم على نقائِص الغير لكنهُ كان محترزًا من التفوُّه بادنى كلمة في نقائِصهِ

اخيرًا ضجر كازيير من ذلك المكثار فقاطعهُ قائلًا يظهر انك خبأتَ كل نقائص قريبك في طرف الخرج الذي قدامك حتى تُبصِرها دائمًا وتستطيع ان تذمّها على هواك. اما نقائِصك فالقيتها وراءَ ظهرك مخافةَ ان تُغشي على بصرك. فأشير عليك ان تُدير خُرجك فيجديك ذلك أَوفر نفعٍ

ان الحكيم يحارب الشرَّ الموجود فيهِ لكنَّ الجاهل لا يشتغل الَّا بمذمَّة الغير

٦٨ في السبع العصِيّ

ملتزم أرضٍ كان لهُ سبعة اولاد يختلفون مرارًا كثيرة فيما بينهم ويضيعون بالمشاجرات الزمان المعيَّن للشغل. وكان

Digitized by Google

يرجون المبغضون بنيّــة رديئة افادةً من هذا الشقاق ان ينزعوا عنهم ميراثهم غب وفاة ابيهم

فهذا الاب العاقل علم ذلك وأحضر ذات يومٍ بنيــهِ السبعة وقدَّمِ لهم سبعة عِصيٍّ مربوطــة معًا رَبطًا شديدًا وقال لهم: من منكم يستطيع ان يكسر هذهِ الحزمة يأخُذ مبلغ مائة ريال وانا الزم نفسي بوفائهــا لهُ نَقدًا. فجميعهم واحدًا بعد الآخر بذلوا كل مجهودهم في ذلك وقتــاً طويلًا من دون ان يقدروا عليهِ وهتفوا اخيرًا قائلين: هذا مستحيلٌ

فقال ابوهم: لا شيءَ أسهل منهُ. وحينئذٍ حلَّ الحزمة وكسر كل العِصيّ واحدةً فواحدةً من دون عناءٍ جزيلٍ

فقالوا لهُ: ليس هذا بصعبٍ اذا كان على هذا المنوال. فان اصغر الاولاد يصنع نظيرهُ تمامًا. فعند ذلك قال لهم ابوهم هذا الكلام الجليل. أولادي الاعزّاء: مَثلكم كمَثل هذه العِصيّ فما دُمتم تعضدون بعضكم بعضًا تقاومون كلَّ شيءٍ ولا يقــدِر احد ان يقهركم. ولكن اذا انقطعت عنكم رُبط

Digitized by Google

الاتّفاق فيصيبكم ما اصاب هذه العصيّ التي تعاينون كِسَرها منثورةً على الأرض

ان المسكنة تستحوذ عاجلًا على البيت السائد عليهِ الانقسام

٦٩ في المِرآة

انطونيوس واختهُ بولينا نظرا على الخزانة مِرآةً زينةٍ لامهما فرغبا ان يتطلعا فيها . وكان انطونيوس حسن الصورة فجعل يتبسّم مسرورًا بصورتهِ . امّا بولينا التي كان أذى الجُدَري قد شنّعها قليلًا فاخذت تبكي عند تأمّلها في تقاطيع وجهها المعكوسة في المرآة

ففاجأَهما أُمهما في هـذا الوقت وقالت : يا حبيبي انطونيوس لقد اخطأْت بتكبرك لاجل جمالٍ زائلٍ . فاحذر خاصةً من ان تُزيلهُ الرزيلة قبل الوقت . وانتِ يا حبيبتي بولينا تسلَّي . متذكرةً انهُ يوجَد شيءٌ أفضل من بهاء الجسد . واجتهدي ان تتعوَّضي منهُ ببهاء النفس

دقيقةٌ واحدة يمكن أَن تُذبِل بهاء الجسد . امّا بهـاء الروح فهو وحدهُ دائِم

Digitized by Google

٧٠ في الصورة

مات مُنذ اجيالٍ كثـيرة في مدينة كبيرة تاجرٌ وترك مالًا وافرًا وكان معروفًا أن لهُ ابنًا وحيدًا مسـافرًا ولكن لم يكن احدٌ من المدينة يعرف صورتهُ

فمن بعد ذلك بزمن وصل ثلثة شُبّان يدّعي كلٌّ منهم انهُ الابن الوحيد والوريث الشرعيّ للتاجر المتوفّى . فاحضر القاضي لوحًا كان عليهِ صورة المتوفّى التي كانت مشابهتها لهُ تامةً . وقال : مَن منكم انتم الثلثـة يصيب بنشّابةٍ العلامة التي أَرسمها على صدر هذه الصورة يفُز بالميراث

فالاول رشق سَهمهُ وكاد يصيب الهَدَف . والثـاني اقترب اليهِ اكثر من الاوّل . لكن الثالث عند التصويب طفق يرتجف واصفرّ وحالًا اندفق من عينيـهُ سَيل من الدموع ورمى القوس والنشّاب على الارض وهتف صارخًا : لا يمكنني ان ارشُق الى هناك : احبُّ الف مرةٍ خسران ميراثي كلهِ على فعلٍ كذا

Digitized by Google

فحينئذٍ قال لهُ القاضي : ايها الشابُّ الشريف انت هو الابن الحقيقيّ وبالنتيجة الوريث الشرعي . اما الآخران اللذان أحسنا الرشق فليسا الَّا غشَّاشين . لانهُ ما من ولدٍ حقيقيّ يمكنهُ العزم على ان يثقُب قلب ابيهِ بضرب نشَّابةٍ ولو لم يكن ذلك الَّا في صورةٍ

الولد المملوُ احترامًا ومعرفة جميلٍ لوالديهِ يمتنع حتى عن اقل اهانةٍ لهما

٧١ في أظرف فسطانٍ

بائع أثواب أزياء حضر يومًا الى قصرٍ ما . فالسيدة الفتاة المدعوَّة اليصابات استأذنت من امها ان تنتقي من أنسجة الحرير ما يعجبها لتفصلهُ فسطانًا . فبعد ما قلَّبت كل الاثواب واحدًا فواحدًا من دون ان تختار شيئًا قالت لوالدتها : يا امي ارجوكِ انْ تحكمي انتِ نفسكِ ايّ لونٍ يليق بي أَ الازرق ام الاخضر ام الأصفر

أَجابتها امها متبسّمةً : اظنُّ الابيض الذي هو لون

الطهارة والاحمر الذي هو لون الحياء

لون الحياء يزيّن جبهة الطهارة فيعطي هيئتها لمعاناً منهلاً ويخضع كل شيء لسلطانها

٧٢ في عُلبة العاطوس الذهبية

امير الاي أرى بعض ضبّاطٍ كانوا يتغدّون عندهُ علبة عاطوس ذهبية اشتراها حديثاً . ثم بعد دقائق قليلة اراد ان يأْخذ نَشقةً . ففتّش عن العلبة في جيوبهِ واخذهُ العجب من عدم وجودهِ اياها . فقال : يا خواجات كلفوا خاطركم وانظروا هل احدكم وضع العلبة في جيبهِ سَهواً . فقاموا جميعهم حالًا وقلبوا جيوبهم ولم تَبِن العلبة . الّا شابًا نائب قائمقام بقي وحدهُ جالساً كان ارتباكهُ ظاهرًا امتنع عن هذا الامتحان وقال : احقّق لكم بكلام شرفٍ ان العلبة ليست معي وهذا يكفي . فانصرف الضباط يهزّون رؤُسهم وكلٌّ منهم ظنهُ سارقًا .

في الغد صباحًا استدعاهُ الأَمير وقال : جناب نائب

Digitized by Google

القائمقام اخبرك على الفور بالبُشرى ان علبتي وُجدت كانت قد دخلت بخرقٍ في بطانة ثوبي الرسمي . فارغب اليك الآن في ان تعمل معي هذا المعروف وهو ان تقول لي : لاي سببٍ أبيتَ قلب جيبك مع ان باقي الضُبَّاط فعلوا كذلك بدون أدنى توقُّف

اجابهُ الضابط الشابُّ ايها الأَمير: انني أُقرُّ لك وحدك بهذا الامر وهو ان ابويَّ فقيران . فلا آكُل طبيخًا في الغداء حتى يُمكنني ان أُعطيهما نِصف معاشي . فحين شرفتني امس ودعوتَني الى مائدتك كان غدائِي معي في جيبي . فتصوَّر في عقلك خجلي لو عند قلب جيبي رميتُ منها قطعة شلشيشو (شيئًا من اللحم المقطَّع) وخبزًا اسمر

فتحرَّك امير الاي من هذا الكلام حركةً شديدة وقبض على يد الشابّ الضابط بمحبةٍ قائلًا : لله دَرُّك إبنًا صالحًا . فلكي أُسهّل عليك الوسائط التي تُسعف بها والديك المحترمين يكون لك كلَّ يوم مقامٌ على مائدتي . قال هـذا

وأخذهُ الى محلّ المائِدة وعانقهُ بحضور كل الضبَّاط وأهداهُ علبة العاطوس كدليلٍ على اعتبارهِ السامي لهُ

الولد الذي يعزّ والدهُ هو محبوبٌ في السماء وموقّرعلى الأَرض

٧٣ في الساعة الفضيَّة

طالب صغير فقير يُدعى ارنستس بات ليلةً في طاحونٍ كان قد تضيف فيها. وكان فراشهُ بنكًا في الحجرة التحتانية. فنحو نصف الليل استيقظ وسمع طقطقة خفيفة على الحائط الذي كان راقدًا بالقرب منهُ. فوجَّه عينيهِ ورأى على ضوء القمر ساعة فضةٍ جميلة

فكانت لهُ في الاول رغبةٌ شديدةٌ في ان يقوم ويفكُّ الساعة ويهرب بها قافزًا من الشبَّاك. لكن ضميرهُ كان يقول لهُ ان السرقة لا تجوز. غير ان رغبتهُ في امتلاك تلك الساعة الظريفة كانت تشتدُّ من دقيقةٍ الى دقيقة. فاذا بهِ قد قام وركض الى الشبَّاك المفتوح ووثب الى خارجٍ فرارًا من التجربة

Digitized by Google

وبعد ما مشي او بالحريّ ركض مئاتٍ من الخُطى ندم على كونهِ لم يستولِ على الساعة وأوشك الى خاف. الّا ان ضميرهُ نبَّهُ ايضًا مرةً أُخرى فطاوع هذا الصوت وداوم مسيرهُ

فوقتئذٍ غاب القمر وأظلم الليل مدلهمًّا. فتاه ارنستس في البطائح ومع ذلك وصل باذن الله الى ارضٍ مرتفعةٍ مغطاةٍ بخضرةٍ. وقد أعيا من التعب حتى انهُ اضّجع حالًا وما تأخّر أن استغرق في النوم. فلمّا بزغ الفجر اذا بصراخاتٍ هائلة قطعت نومهُ اللذيذ. ففتح عينيهِ وجمد دمهُ من الفزع

وذلك لأَنهُ كان تحت مشنقةٍ وكان لصٌّ معلَّقًا فوق رأسهِ سربٌ عديدٌ من الغربان الخاطفة ملتئمة حول الجثة. وعند هذا المشهد المخيف شعر بصوتٍ باطنٍ يهتف اليهِ. انظر ماذا كان يحلّ بك لو ابتدأتَ تعتاد السرقة. وشعر ساعتئذٍ بخوفٍ خلاصيّ ومعرفة جميل نحو الباري تعالى الذي بواسطة نخز ضميرهِ انقذهُ من خطرٍ قريبٍ وجثا على ركبتيهِ

وقدَّم للرب الحمد والثناء وهتف
اللهمَّ اسأَلك ان تهديني طريقك فأَتبع أَوامرك بفرَح

٧٦ في الكيس

١

فتًى اسمهُ نوربرتُس ابن لحّام فقير كان جالسًا ذات يوم تحت شجرةٍ وسط الغابة يُعوِل ويبكي بدموعٍ سخينة ويتضرَّع لله بحرارةٍ. وكان وقتئذٍ في الصيد سيدٌ لابس ثوبًا بسيطًا اخضر على صدرهِ نجمةٌ ذهبية. فسمع صراخ الصبيّ الصغير ودنا منهُ وسأَلهُ: لماذا تبكي يا ولدي

اجابهُ نوربرتس. واحسرتاه امّي استمرَّت مريضةً زمانًا طويلًا فأَرسلني ابي في هذا الصباح الى المدينة لكي آتي الصيدلاني. فلسوء حظّي اضعتُ الدراهم في الطريق مع الكيس الذي كانت فيهِ

فتكلم السيد بصوتٍ مهموسٍ الصيَّاد الذي كان رافقهُ. ثم نشل كيسًا صغيرًا من حرير قِرمزيّ كانت تُرى

Digitized by Google

فيهِ قِطع ذهَب كثيرة تلمع . وقال للغُلام : هذا الكيس رُبّما يكون ذاك الذي أَضعتهُ انت

اجابهُ نور برتُس : لا . كيسي ليس ظريفًا كذا ولا فيهِ قِطع ذهَب اصلًا

فاخرج الصيّاد من جيبهِ كيسًا صغيرًا غير جميل الظاهر وقال أفهذا هو اذًا

اجابهُ نور برتس فرحًا مسرورًا : بلى هذا هو كيسي بعينهِ . فردَّهُ اليهِ الصياد وحينئذٍ كلمهُ السيد هكذا : يا ولدي خُذ ايضًا هذا الكيس مع كيسك فانني وهبتُك إِياهُ جَزاء استقامتك وثقتك بالله

ان الصلاة تخفّف الوجع دائمًا وان خيرنا من استقامتنا

٢

فصبيٌّ آخر من عمر نور برتس يُسمّى اسطفانُس كان قاطنًا في القرية القريبة وسمع الكلام على هذا الحادث . فحين عرف ان السيد مضى ايضًا الى الصيد في الغابة نفسها

جلس الى جذر شجرةٍ وصرخ نابحًا: واكيس دراهمي. قد اضعتُ كيس مالي

فعند ما سمع السيّد هذا الصُّراخ اقترب اليهِ وبعد ما سألهُ جملة سؤالات أراهُ كيسًا مملوًّا ذهبًا واستفهمهُ قائلًا: أهذا هو الكيس الذي أضعتهُ

فصرخ استفانُس وهو يمدُّ يدهُ ليأخُذهُ قائِلًا: نعم هذا هو بعينهِ

غير ان الصيَّاد الذي كان واقفًا بجانب الامير دنا من الغلام ونبَّهُ بصوتٍ قاسٍ قائلًا: ايها الكذَّاب الوقح كيف تجاسرتَ على الحضور قدام مولاي لكي تغشَّهُ. مهلًا فاني اريد ان اردَّ لك الدراهم التي في كيسك. قال هذا وقطع قضيب بُندُق وعاقب بهِ ذلك المكَّار عقابًا شديدًا كما استحقَّ الخيانة تُطعن غالبًا بسهامها والدجَّال يُؤخذ بأشراكهِ نفسها

٧٥ في قطعة خمسة فرنكات

قرويٌّ تقيٌّ جدًّا يُسمى فريدولين كان عندهُ أجير

للحراثة ذو أَخلاقٍ شرسة يحتدّ على أدنى كلمة وحينئذٍ يقذف افظع التجاديف. وكان فريدولين يحثّهُ مرارًا على ان يقمع غضبهُ حبًّا بالله . لكن الأَجير كان يجيبهُ . هذا غير ممكنٍ متى رأَيتُ نفسي مضادًّا من الدوابّ والبشر

فصباحًا ما قال فريدولين للأَجير المذكور: اصغَ يا متّى وانظر هذه القطعة الجميلة الجديدة التي تساوي خمسة فرنكات فانني أُعطيكها في هذا المساء إن صبرتَ كل النهار منْ دون ان تتفوَّه بتجديفٍ او بتعيُّطٍ يدلّ على الاحتداد . فقبل منهُ متّى هذا الشرط برضًا وسرورٍ

الّا ان سائر الاجراء اتَّفقوا فيما بينهم على ان يُخسّروهُ الريال ولذاكم السبب قد افرغوا يومئذٍ كل مجهودهم في مضادَّتهِ ليحرّكوهُ الى الغيظ . لكن الشابّ المذكور قد ضبط نفسهُ جيّدًا حتى لم تخرُج من فمهِ كلمةٌ ذات حدَّةٍ

فلما اتى المساء دفع لهُ فريدولين الريال قائلًا لهُ: يلزمك ان تستحي خجلًا لاستطاعتك ان تغلب جيّدًا ميلك

الى الغضب متى كان ذلك لاجل قطعة فضةٍ حقيرةٍ مع انك تجد ذاتك عاجزًا عن فعله حبًّا لله ولوصاياهُ . فأَثَّر هذا التوبيخ في متّى حتى اصلح ذاتهُ وصار مذ يومئذٍ يجتنب خطيئة الغضب واضحى لطيف الطبع

ان الله يبارك المقاصد المفعولة لغاية مفيدة وبعونهِ تعالى كل شيء يسهُل لدينا

٧٦ في الشابّ البوّاق

فتًى قرويٌّ من نواحي فيليبسبورك حالما بلغ الاحدى عشرة سنةً هجر بيت أَبيهِ وتعيّن بصفة بوّاق في الاي اورتيمبورج لكي يساعد اباهُ المسكين المتقدم في العمر والمعيل . وجعل نفسهُ محبوبًا من الجميع للطفهِ وفهمهِ وطاعتهِ لرؤسائهِ

فسيرتهُ المرتّبة وقامتهُ الطويلة جعلتاهُ يتقدم بسرعةٍ . فمنذ بلوغهِ السنة السادسة عشرة صار اوّل بوّاق في فِرقتهِ

فبعد ما قضى الشابّ الجرمانيّ المذكور ثماني سنوات بعيدًا عن عائلتهِ كان يكرر هذا القول بدون انقطاع : متى

Digitized by Google

اذهَب واعانق ابي المسكين واهًا كم يسرّ مبتهجًا بمشاهدتي٠ وبينما كان الشاب الجندي مفعمًا من هذا الخاطر اللذيذ حصل على فرصة شهرين٠ فسافر ومعهُ نفيرهُ العزيز٠ وكان وقتئذٍ في منطقتهِ مائة قطعة ذهَب وهي ثمر معتبر وثمين نالهُ من اقتصادهِ

واهًا ايُّ عيدٍ واي مجدٍ لابنٍ صالح وايُّ انشراحٍ لهُ برجوعهِ بعد زمنٍ مديدٍ الى الامكنة التي هي شهود عيانٍ على طفوليتهِ٠ واي اعتبارٍ يحصل لهُ خاصةً بظهورهِ هناك بصفة محسنٍ وباعطائهِ علاماتٍ دالّة على تعقّلٍ في عمرٍ لا يُوصَف غالب الاوقات الّا بالزيغان والنقائص

لكن تبًا لك ايتها العزائم الملاّقة والغرور الفاضل والامل الخادع فلم تتحقق٠ لان الشابّ المذكور سافر في اواخر الشتاء سنة ١٧٠٩ ٠وكان وقتئذٍ نهر الرين متجمدًا الى عمق اقدامٍ كثيرة٠ فبينما هو يقطع النهر المذكور لظنهِ اياهُ أخصر طريق لرجوعهِ الى القرية القاطن بها ابوهُ اذا بالجمَد قد انحلّ بقصيف يشبه قصيف المدفع

Digitized by Google

فلما بلغ الشاب المسكين الى وسط نهر الرين بعيداً عن الشاطئين حيث كان الجَمد لم يزل شديداً جَرَّهُ واسفاهُ سائِل النهر . فباطلاً كان يثب من قِطع جَمد الى أُخرى لانها بمقدار ما كانت تندفع من غيرها كانت تغطس تحت قدميهِ الغير الراسختين . واحسرتاهُ عليهِ . فعبثاً أَشار الى أُناس ليأتوا الى مساعدتهِ فجماعة المتفرجين المتقاطرين الى الشاطئين لم يجسروا ولم يستطيعوا أَن يحاولوا تخليصهُ .

وإذ كان هذا الابن الصالح على هاوية الموت وقد رأى المنيّة أَوشكت أَن تبتلعهُ أَراد ان يشهر آخرتهُ بالعواطف التقويَّة التي قادتهُ في سفرهِ . فاخذ نفيرهُ ولحَّن لحناً حربيّاً يحبهُ ابوهُ كثيراً . ثم هتف : في مِنطقتي مائة قطعة ذهب أُعطي خمسين منها لمن يقدِر ان ينشل جسدي من الماء ويأخذ الخمسين الأُخرى الى أَبي

فحالما فرغ من هذا الكلام اذا بقطعة جَمد ضخمةٍ قلبتهُ فغاب عن النظر .

ووُجد جسده عقب بعض أيامٍ وجاؤُا الى ابي هـذا الشقيّ لا بالخمسين قطعةَ ذهب لكن بالمائـة التي كانت في المنطقة. الّا ان هذا الوالد المسكين مات من الحزن

ان المحبة التي يشعر بها البنون الصالحون نحو آبائهم تتبعهم في كل مكان حتى الدقائق الأخيرة من حياتهم

٧٧ في الصندوق الصغير العجيب

صاحبة بيتٍ كانت تكابد يوميًّا خسائر في أمور بيتها وكان ايسارها يقلُّ من سنةٍ الى سنةٍ. قصدت حينئذٍ ان تمضي تستشير متوحّدًا كان قاطنًا في الغابة وأخبرتهُ بسوء حال امورها قائلةً لهُ: ليس تدبير بيتي بجيـدٍ ولا يظهر لي ذلك طبيعيًّا. فيقتضي ان يكون احدٌ سحرني أفيمكنك ان تدلّني على واسطةٍ لمداواة هذا السوء

فاذ كان المتوحّد شيخًا رضيّ الخلق بشوشًا طلب اليها ان تنتظر هنيهةً من الزمان. ثم أتاها بصندوقٍ صغيرٍ محكم الإقفـال وقال لها: يلزمك مدة سنة ان تحملي هـذا

Digitized by Google

الصندوق وتذهبي بهِ الى المطبخ والقبو والإصطبلات وكل زاويةٍ وقرنةٍ في منزلكِ ثلاث مرار في النهـار وثلاثًا في الليل . فاتعهّد لكِ ان اموركِ تصطلح . وعند آخر السنة فلا تتاخَّري عن ان تجئيني بالصندوق

فالمرأة الصالحة التي لها ثقـة تامة بمفعول الصندوق السرّيّ لم تقصّر في اتباع مشورة المتوحّد بل دارت بتدقيق مع ذلك المتاع الصغير في كل محلات بيتها . ففي الغد عند ما نزلت الى القبو فاجأت هنـاك خادم الإصطبل وقتئـذٍ يسرق زُجاجة نبيـذٍ . وحينما مضت لتزور المطبخ في آخر السهرة وجدت ثَمَّ الخادمات جالسات حول المستوقَد يتفكهنَ بالحلوَيات . واذ جالت في الاصطبلات نظرت فيهـا البقَر كانها مطمورة بزبلها والخيل تأكُل تبنًا عوض الشعير ولم تكن بعـدُ محسوسةً . وهكذا التزمت يوميًا بان تُبطل تصرفات سيئة في بيتها

فلما انقضت السنـة عادت بالصندوق الى المتوحّد

Digitized by Google

وقـــالت لهُ بصوت الفرح . الآن يجري كل شيء في بيتي على احسن حالٍ نعم على احسن حالٍ بكثيرٍ فارغب اليك في ان تدع الصندوق عندي سنةً أخرى فانها تحتوي دواء ذا فاعليةٍ غير معتادةٍ حقًّا عجيبةً بالكليَّة

فطفق المتوحد يتبسَّم ضاحكًا وقال لها : أما الصندوق فلا استطيع ان أُعطيكِ إيَّاهُ لكني أهبكِ الدواء الذي فيهِ وانتِ تعرفين اليوم بالاختبار فاعليتهُ الغير المخطئة . قال هذا وفتح الصندوق السريّ . فاندهلت المرأَة الصالحة من كونها لم تجد فيهِ شيئًا آخرالَّا ورقةً صغيرةً فيها هذا الكلام

لكي يجري في البيت كل شيء حسنًا ينبغي لصاحبهِ الَّا يدع شيئًا فيهِ يغيب عن نظرهِ

٧٨ في الامير التقيّ

لاميرٌ اضطرَّ في زمن الحرب الى الهرب ليتوارى عن عدوّهِ . فانهزم وما رافقهُ غير خادم واحد طاعن جدًّا في السنّ ولكي يجتنبا خطر ان يكونا معروفين لم يلبسا كلاهما الَّا لِبسًا بسيطًا جدًّا

Digitized by Google

فليلةً ما وصلا متماسيين الى مزرعةٍ منفردة في الجبال وباتا هناك. لكن الامير لم يقدِر على النوم لأنهُ كان يرى نفسهُ تحت طائلة العدوّ وقريبًا من الافلاس اذ لم يكن له وقت ليجهز من الدراهم قدر ما يكفي. فقـام وجثا على ركبتيـهِ قدام صليبٍ كان في تلك الغرفة المنفردة وصلّى زمانًا طويلًا في سكوتٍ. وفيما هو كريب القلب خرج من فمهِ هذا الكلام ملفوظًا بصوتٍ عالٍ مقرون بتنفُّس الصعداء وهو: ايها الرب الهي أَشفق على اميرٍ تعيس

فسمع صاحب المزرعة هذا الكلام. ولما كان الغد أخذ الخادم صباحًا الى ناحيةٍ وقال لهُ: انني اعلم أن سيـدك اميرٌ فارجوك ان تخبرني بسبب غمهِ. فأقرّ لهُ الخادم بالحق متوسّلًا اليهِ بالحاح ان لا يخونهُ

فلما تهيّأ الامير ليبارح المزرعة دخل القرويّ الى الحجرة باحترام وقال للأمير بتأثُّرٍ: مولاي انّ الصلاة التي صلّيتها في الليل عرفتني شقاء حالك. فارغَب اليك في ان

Digitized by Google

تمنَّ عليَّ بهذا الفضل وهو ان لا ترفُض هذه العشرين قطعة ذهبٍ الى ان يعود حالك أسعد . وكذلك انني اقـدّم الك ذاتي لاكون لك بمقام دليلٍ اقودك بسرعةٍ الى محل الامان

فدهِش الامير وتحرَّك قلبًا وشكر ذلك القرويَّ الكريم ولا سيما الباري عزَّ وجلَّ الذي بدون ان يصنع عجيبةً ظاهرةً يستجيب بنوعٍ عجيبٍ أولئك الذين يستغيثون بهِ بحرارةٍ وقت ضيقهم

وبلغ بالسلامة الى بلد ملكٍ محالفٍ لهُ . ثم كافأَ صاحب المزرعة الصالح مكافأَةً عظيمة

في الشدة استعِن بالله فيزيل عنك البُؤس

٧٩ في الراعي التقي

في ليلةٍ بهيَّة من شهر إيار حينما كانت البرية مزيَّنـة بالخضرة والزهور كان الفتى اوندلينوس يرعى غنمهُ وكان واقفًا عند أَجَمةِ زُعرور مُزهرة فلاحت على وجههِ امارات الحزن وكانت الدموع تسيل مثل سِمط اللآلئ الحسان على خدَّيه الناضرين

Digitized by Google

ولما كان الويسيوس ابن ناطور الصيد راجعاً وقتئذٍ من الغابة ابصر الفتى الراعي المومأ اليهِ حزيناً فسأَلهُ راثياً لهُ: ما لك يا صاح تبكي

اجابهُ اوندلينوس آه انني قد رأَيت ضفدعة بريَّةً اختفت في هذه الأَجمة وهي شنيعة المنظر جدًّا

فهتف الويسيوس متعجباً: أَهذا يُبكيك . واحسرتاهُ عليك ما زلت بعدُ ولدًا في سنك

اجابهُ اوندلينوس . كلا بل أَصغِ اليَّ

انني لما رأَيتُ تلك الضفدعة وتأَمَّلت صورتها الشديدة القبح الكريهة الممقوتة المطرودة من الجميع التي تزحف بمشقَّةٍ على الأَرض من دون أَدنى تصوُّرٍ لها في الله خالقها وتعيش زاحفةً في الظلام والوحل الى ان تقضي حياتها الشقية افتكرت هذه الافكار قائلًا في نفسي

انت لك قامة انسانٍ مستقيمة مرتفعة وجمال صورة الوجه البشريّ وتقدر ان تمشي وتنقل قدميك بحريةٍ الى كل الجهات وتشاهد السماء والارض وتفرح بمنظر العشب

Digitized by Google

والزهور المبهج وتعرِف خالقك وتشعر بنفسك الخالدة ثم قلت ترى هل انا الحاصل على هذه النعم العظيمة التي منَّ بها الاله السرمدي عليَّ فجعلني بها اعلى كثيرًا من هذه الضفدعة الدنيَّــة . فهل خطر في بالي جيدًا ان أحمد الله وأشكره على ذلك من أعماق قلبي . فهــذا التبصُّر في جحدي جميل باريَّ السماويّ أثر فيَّ تأثيرًا حتى لم يعُد في امكاني ان امنع ذاتي عن سحّ العبرات

تأثَّر الويسيوس من كلام الفتى الراعي فلم ينسه طول عمرهِ وفي زمن شيخوختــهِ كان يكرّرهُ على حفدتهِ ويضيف اليهِ هذا القول : اذا ثبت ان اقبح الهوامّ في نظرنا لا فائدة لها فيبقى فيها دائمًا فائدةٌ تجدينا نفعًا وهي ان تزيدنا معرفةً قيمة مزايا الانسان المزايا التي بها تنازل الله الى ان يرقيهُ في هذا العالم الى مرتبةٍ اشرف البرايا

مَن لا يعرف أَن يتعجَّب من إِحسانات الرب فــلا يستحق الحياة ولا إِيمان لهُ ولا قلب

٨٠ في السَلاّ ل الصغير

الفتى ادوردوس كان لهُ اقارب أغنياء جدًّا ولعلمهِ بذلك اعتمد على غناهم فلم يرِد ان يتعلم شيئًا . امَّا الولد يعقوب ابن جارهِ الفقير فكان بعكس ذلك كثير الشغل وتعلَّم برغبةٍ عمل السلال

فيومًا من الايام كان ادوَردوس يتفكه بصيد السمك بالصنَّارة على شاطئ البحر وكان يعقوب بعد ان قطع حزمةً من اغصان صفصافٍ يحملها على منكبيهِ ويستعدّ للرجوع الى والديهِ . فاذا لصوص بحريون مختفون في غابةٍ متكاثفة وثبوا على ذينك الولدَين المسكينين واستاقوهما الى مركبهم ليبيعوهما كعبيدٍ

فصدمت العاصفة ذلك المركب وقذفتهُ الى جهات بعيدة جدًّا واخيرًا كسرتهُ بالصخور على ذيل جزيرة متوحّشة فنجا الولدان المذكوران وحدهما من الغرق ووصلا الى الارض التي كانت مأهولةً بالسودان الاشرار البرابرة فجاء على بال يعقوب ان صنعتهُ ربما تجعلهُ يجد نعمةً

Digitized by Google

عندهم . فاخرج سكينهُ من جيبهِ وقطع اغصاناً من الصفصاف وأخذ يجدِل لها سلّةً ظريفةً . فالتأم حولهُ جماعةٌ من السودان رجالاً ونساء وأولاداً وكانوا يتفرَّجون على شغلهِ ببهجة ورغبةٍ كبيرة

فلما اتم يعقوب تلك السَّلة اهداها لمن كان يستبين لهُ انهُ رأسهم . وحينئذٍ اشتدَّ كبارهم وصغارهم شوقاً الى ان يحصلوا على سلالٍ نظيرهُ واعطوا يعقوب كوخاً مظللاً باشجارٍ مثمرة ليستطيع ان يشتغل هناك باكثر راحةٍ وقدَّموا لهُ عدا ذلك مؤُنةً وافرة

ثم طلبوا من ادوَردوس ان يصنع لهم سلالاً . فلما لحظوا منهُ انهُ لم يتعلم شيئاً ضربوهُ وكادوا يقتلونهُ لولا ان يعقوب يسترضي خاطرهم على ابن وطنهِ المسكين بتضرُّعاتهِ وتوسُّلاتهِ الحارَة . ومع ذلك رسموا على ادوَردوس المذكور ان يبدل ثوبهُ المخمل بدُرَّاعة لكتَّان التي كان لابسها يعقوب وألزموهُ ان يخدُمهُ كأَجيرٍ وان يجلب لهُ اغصان الصفصاف الذي يحتاج اليهِ لأَجل شغلهِ

الانسان الحاذق العَمل لا يخشى الجوع في اي قُطرٍ حطهُ المقدور

Digitized by Google

٨١ في النوتيَّين الصغيرَين

١

كان فالنتينوس ولدًا ذا طبع طائش جدًّا فأخذ أخاهُ فيلبُّس الصغير الى شاطئ النهر وركب وإياهُ قاربًا وقذفهُ الى بُعد عن الشط

فبعد قليل من الزمان رمت سرعة جري المياه ذلك القارب الضعيف على صخرةٍ وكسَّرتهُ قِطعًا . فسبح فالنتينوس بمشقةٍ على طول الشاطئ الوعر من دون ان يستطيع سبيلًا الى ان يرتقي اليهِ . امَّا فيلبُّس فسحبتهُ الامواج

فركض جَزَّافٌ على صراخ ذينك الولدَين ورمى بنفسهِ في النهر مطوّحًا حياتهُ في الخطر وأَسرع الى اعانة فيلبُّس وأَمسكهُ وقادهُ الى الأَرض سالمًا وحظَّ بتخليصهِ اياهُ وكان فرحهُ بذلك غير موصوف

الرجل الكريم يخاطر بروحهِ لكيما يخلّص قريبهُ من الموت الذي يهدّدهُ

Digitized by Google

٢

فلما كان الجزّاف لخيّر يتود فيلبُّس الى حافة الشاطئ غرق فالنتينوس . فبعض الناس المجتمعين على حافة النهر سألوا الجزَّاف لماذا إذ لم يقدر ان يخلص الَّا واحدًا من ذينك الولدَين قد فضَّل ان يخاطر بحياتهِ لينجي فيلبس . وقالوا لهُ : لقد كان يمكنك ان تقبض على الآخر بأقلّ عناء وخطرٍ

اجابهم الجزاف ان فالنتينوس الطائش الذي غرق سرق لي مرارًا كثيرة سمكًا وسراطين وكان ينبسط بإتلاف شباكي . اما فيلبُّس الصالح فبالعكس لانهُ كثيرًا ما جاءني بعصرونيتهِ ومرارًا اعطاني فضلات اكلهِ حينما كانت رجلي المريضة تعوقني عن اكتساب شيءٍ . فكيف لا اخلّص اولًا ولدًا في غاية الصلاح

يُرى غالبًا في هذه الحياة ان الخير يُثاب والشر يُعاقب

٨٢ في الأعمى

فتًى اعمى اسمهُ اندراوس كان يخرج من الكنيسة

Digitized by Google

ويرجع الى بيتهِ وهو يمشي الهُوَينا باحترازٍ وكانت لهُ عصاهُ بمنزلة الدليل . فعاينهُ فتًى قرويٌّ ذو طبعٍ سيّئٍ يُدعى لوقا وناداهُ بسخريَّةٍ : أيُّها الأَعمى المسكين فلنتراهن على عشرة ريالات على اني أركض أَسرع منك

أَجابهُ الاعمى : انني اقبل هذا الرهن بشرط ان تدعني اختار المكان والزمان

فقبل لوقا ذلك ضاحكًا متقهقهًا وكل الحاضرين أُشهِدوا عليهِ . حينئذٍ قال اندراوس : أَجَلْ . في هذا اليوم عند انتصاف الليل ننظر أيُّنا يصل قبلًا الى المدينة الفلانية القريبة

في نصف الليل عندما دقَّت الساعة آخر دقةٍ سارا وكان الليل مدلهمًّا والجوّ كثير العواصف وكان الطَريق يمرُّ بغابةٍ متكاثفة . أَمَّا اندراوس الذي كان عندهُ النهار والليل على حدٍ سوى فبلغ الى المدينة قبل طلوع الفجر واَمَّا لوقا الساخر فضلَّ في الغابة وكان تارةً يصدم رأسهُ جذع شجرةٍ وطورًا يعثر بعِرقٍ وحينًا يتشبَّك بالعُلَّيق واخيرًا لم يصل

Digitized by Google

الى المدينة الّا عندما كانت الشمس قد طلعت وعلت في الأُفق جدًّا

فالتزم ان يفي العشرة الريالات وقال كل احدٍ انهُ يستحق قصاصًا أشدّ

احذَر من أن تسخر بالضعفاء وإِلّا فخَف من غضب الله المهان بذلك

٨٣ في المسافرَيْن

مسافران البرتوس وبُركاردوس كانا يسيران معًا في الطريق بصداقة . وبغتةً لمح البرتوس على جانب الطريق كيسًا مملوًّا ذهبًا . فقفز عليهِ حالًا ولقطهُ . فقال لهُ بُركاردوس : يا رفيقي لُقطةٌ مباركةٌ أُومل ان نتقاسمها كأَخوَيْن

أَجابهُ البرتوس : حاشا وكلا . انا هو الذي لقيتهُ فهو اذًا لي وحدي . وعند ذلك وضع الكيس في جيبهِ بهيئة مظفَّرٍ . فداوم بركاردوس المسير معهُ كئيبًا

فاذا بقاطع طريقٍ قد ظهر وفي يدهِ سيفٌ . فصار

Digitized by Google

البرتوس أَصفر مثل الميت وقال : يا رفيقي فلنـدافعنَّ عن أَرواحنا فلا يكون سهلًا لديهِ ان يغلبنا لأَننا اثنان على واحدٍ : بادِر واقتدِ بمَثَلي وسُلَّ سيفك

أَجابهُ بُركاردوس في دورهِ : حاشا وكلا فلستُ اخاف من قاطع الطريق اذ لاشيء معي فيأْخُذ مني . انك قد خبأْتَ المال كلهُ لك وحدك فيجب عليك كذلك ان تدافع عن نفسك وحدَك

فغُلب رو برتوس بسهولةٍ من اللصّ ولم يبقَ معهُ عوض الكنز الّا الجراحات

ليقاسمك صديقك دائمًا حظك ان شئتَ ان يُعينك وقت بلائك

٨٤ في الطحّان وحمارهِ

طحّانٌ وابنهُ كانا سائقَين قدامهما حمارًا يريدان ان يبيعاهُ في السوق القريبة

فصادفهما خيَّالٌ وصرخ اليهما قائلًا : ما ابلدكما فانكما خاليان من العقل بالكليَّة حتى تدعا حماركما يذهب من دون ان تحملاهُ شيئًا او تركباهُ . فللحال ركبهُ الابن

Digitized by Google

فاذا بسوّاق مركبةٍ اجتازا بالقرب منهُ وجد الى الملامة سبيلًا فقال يا لك من أحمق كبير أما تستحيي خجلًا من ان تركب الحمار وتطيق ان يمشي ابوك الشيخ . فتأثَّر الابن بهذا التوبيخ ونزل للوقت وأركب اباهُ في مكانهِ

فمن بعد ذلك بزمنٍ يسيرٍ دنت منهما امرأة قرويَّةٌ حاملة على راسها زنبيل ثمرٍ لتبيعهُ في السوق وقالت . هوذا أبٌ لهُ قلبٌ ان يتخطر براحةٍ على حمارهِ ويترُك هذا الولد المسكين يخبُّ في الوحل . حينئذٍ ركب الولد رديفًا على كفل الحمار

ثم هتف راعٍ يرعى غنمهُ على حافة الطريق : الويل لهذا الحمار المسكين عما قليلٍ يفزرانهِ . يا لهُ من توحُّشٍ

فساعتئذٍ نزلا اثناهما عن المركوب وانتكى الولد قهرًا وقال لأبيهِ ماذا يجب علينا ان نفعل الآن لكي نُرضي كل العالم . أنضع الحمار على تختٍ لنحملهُ الى السوق او نذهب نرميهِ هناك في النهر

أجابهُ ابوهُ : انني أرى الان جليًّا جدًّا انهُ من المستحيل

Digitized by Google

ان يُرضي احدٌ كلَّ الناس وانهُ لاشيء أَصوَب من هذه المشورة
تصرَّف دائمًا بفطنةٍ واهزأ بالاحاديث الباطلة

٨٥ في الفحَّام والقصَّار

فحَّامٌ قال يومًا لقصَّارٍ يطلب محلًّا يستكريهِ : ياصاحبي تعالَ اسكُن في بيتي فانهُ كبير بالكفاية يسع بضائعك وبضائعي
أَجابهُ القصَّار : استكثر بخيرك يا صاحبي . لكننا غير قادرين على السكنى معًا لان فحمك يسوّد الثياب التي اذوق في تبييضها تعبًا جزيلًا
فطفق الفحَّام المحتشم يضحك وقال : إِي وعمري الحق معك ان الابيض والاسود لا يتفقان أَبدًا . نعم ان الذي يحدث للنسيج الابيض الحسن يحدث كذلك للانفس الطاهرة البرية اللواتي يعاشرنَ زمرة الأَردياء ذوي الانفس السوداء والعوائد الفاسدة
ان شئتَ ان تحفَظ طهارتك فاهرُب من مجالسة الفجَّار السيّئة

Digitized by Google

٨٦ في الصيَّاد وكلبهِ

اذ طارد صيَّادٌ أرنبًا مجروحةً حرَّش كلبهُ على البهيم المسكين هاتفًا : أمسِك أمسِك . فاخذ الكلب المطيع يركُض بكل قواهُ وتبع الارنب بين الحقول والمروج الى ان أدركها وأمسكها بأسنانهِ . فدنا الصيَّاد وقبض على صيدهِ بأذُنيهِ وصرخ للكلب : خَلِّ خلِّ . فتركهُ الكلب حالًا ووضعهُ الصيَّاد في جعبتهِ

وكان وقتئذٍ كثيرون من اهل البرّيَّة حاضرين مشهد هذا الصيد وكان بينهم شيخ فنطق بهذه الاقوال الواجب اعتبارها وهي

ان البخيل يشبه هذا الكلب . فالبخل يصرُخ : أمسِك أمسك . والرجل الأعمى يطيعهُ ويركُض بكل قواهُ الى ربح الأَموال الارضية لكنهُ اخيرًا يفاجئهُ الموت ويهتف اليهِ : خَلِّ خَلِّ . فيلتزم ذلك الانسان المسكين ان يترك من دون ان يتمتع بالغنى الذي عانى مشاقَّ وافرة في اكتسابهِ

لا نتطلبنَّ كنوزًا أُخرالًا التي تتبعنا بعد الممات

Digitized by Google

٨٧ في المتكبرة

فتاةٌ شريفة تُسمَّى جرترودا كانت ساكنةً قصرًا عظيمًا. وكانت متجبرةً غايةَ التجبُّر من سموّ قدرها بين الناس

في ذات يومٍ مثلت أمامها فتاةٌ تُدعى مريم ابنة بنّاء فقير وقالت لها: ابي الذي هو مريضٌ مَرَضًا عُضالًا يسأَلكِ ان تأتي اليهِ ليخبركِ بأُمورٍ مهمة

أَجابتها السيّدة الفتاة بتهكُّمٍ: ما أَحسن مشاهــدة شخصٍ مِن مقامي يزور محلكِ الحقير ليسمع مســارّة صانعٍ فقير. اذهَبي قولي لأَبيكِ ان لا وقت لي

فبعد هنيهةٍ رجعت مريم وهي تصرُخ مقطوعة النفس: يا سيدتي أَسرعي حالًا فانهُ في زمن الحرب خبأَت المرحومة والدتكِ في حائطٍ كميةً وافرةً من الذهب والفضةّ وأَوصت ابي ان لا يخبر بهذه الخبيئة الّا لكِ انما ذلك بعد أَن تكوني بلغتِ سن العشرين. لكن الموت الذي قرب لا يسمح لأَبي ان يتأخر بزيادةٍ لكي يكاشفك بهذا السرّ المهمّ

فعلقت الفتاة الشريفة تركُض على رجليها بتمام الاستعجال لكنها عندما دخلت الكوخ كان الرجل الفقير قد فارق

فكادت تضيع عقلها من القهر والغيظ فامرت بان تُخرَق وتُهدَم حيطان كثيرةٌ في أمكنةٍ مختلفةٍ من قصرها ولم تجد الكنز

فندمت كل عمرها على انها بتكبرها حزنت رجلًا كثير الصلاح وحرمت نفسها مالًا كثيرًا

تعلَّم ان تكون دائمًا على حذرٍ من الكبرياء الحمقاء والَّا فتصيبك داهيةٌ تذبل زهرة حياتك

٨٨ في المستعطية

في زمن الغلاء حضرت امرأَةٌ غريبة الى قريةٍ لتسأَل حسنةً وكان زيُّها فقيرًا جدًّا لكنهُ غير متوسّخ

فكانوا في بعض البيوت يطردونها بعنفٍ وما يعطونها في البيوت الأُخر الَّا صدقةً دنيئةً جدًّا ما عدا فلاحًا سبروتًا فانهُ ادخلها الى بيتهِ لتستدفئ لانهُ كان يومئذٍ بردٌ شديد.

وكانت امرأة الفلاح متصدقـةً نظيره فقدَّمت لها صحفة شوربا وكاس نبيذٍ وقطعة زلابية كانت عما قليل أخرجتها من الفرن

فلما كان الغد كل الذين حضرت عندهم الفقيرة الغير المعروفة دُعوا الى العشـاء في قصر القرية . فاذ دخلوا قاعة الغذاء ليأكلوا رأوا مائِدةً صغيرة مغطَّـاةً بألذّ الأَطعمة ومائِدةً أُخرى كبيرة منصوبةً ايضًا ومصفوفـةً عليها ملاعق وسكاكين وشوكات كثيرة وأَبصروا في بعض الصحون كسر خبز معفّن او بطاطا . وفي غيرهـا نظروا فلسًا لكنّ اغلب الصحون كانت فارغةً بالكليَّة

وعقيب ذلك بهُنيهةٍ بعد ما اجتمع كل المدعوين دخلت سيدة القصر وكلَّمتهم بهذه الالفاظ : انا هي التي تنكرت بزي فقيرة لانني أردت ان اختبر حنوَّكم في هذه الازمنة الضيقة على الفقراء . فهذان الانسانان الصالحان (قالت هذا مومئةً بيدها الى الفلاح وزوجتهِ) قد عاملاني أجود معاملةٍ قدرا عليها . ولذاكم السبب يتعشَّيـان على مائِدتي وسأُجري

عليهما رزقًا. أمَّا أنتم فارضوا انفسكم واكتفوا بالحسنات التي تصدَّقتم بها عليَّ وترونها في هذه الصحون ولا تنسوا أبدًا هذا الامر خصوصًا انهُ هكذا يُقدَّم لكم في الآخرة

ما تزرعهُ في هذه الدنيا تحصدهُ بعد موتك

٨٩ في سارق الخنّوص

سائقا دبٍّ وصلا ذات ليلةٍ متماسيين الى قريةٍ وقصدا ان يبيتا فيها تلك الليلة وكان الفندقي يومئذٍ باع الخنّوص الذي كان قد علفهُ فزرب الدبّ في الاصطبل الذي كان قد أضحى فارغًا

فجاءَ لصٌّ نصف الليل بنيَّة ان يسرق الخنّوص المسمَّن اذ لم يكن عندهُ أدنى علم بما جرى في النهار. ففتح باب الاصطبل بهدُوءٍ ودخل وقبض في العتمة على الدب بدلًا من الخنّوص الذي كان مؤملًا أن يجدهُ. فنهض الدب مصوتًا تصويتًا هائلًا والقى يديهِ على اللصّ وتأبَّطهُ تأبُّطًا ضاغطًا حتى لم يمكنهُ ان يتحرَّك

فاضطرَّ ذلك المسكين من الخوف والألم الى ان يصرخ صراخًا هائلًا حتى انتبه جميع الذين كانوا في الفندق . وركضوا نحو الضوضاء ولم يقدر صاحبا الدب الّا بالجهد الجاهد ان يخلصا اللص منهُ مضرَّجًا بدمه ومهشّمًا جدًّا بمخالب الحيوان المخيف . لكنهُ ما نجا من هذا الَّا ليسلَّم الى الحكومة

مرارًا عديدةً لا يتمهَّل الله في عقاب حادثةٍ أثيمة

٩٠ في قطَّاع الطريق الثلاثة

ثلاثةٌ من قطاع الطريق حملوا على مسافرٍ مجتاز في غابةٍ كثيفةٍ ومن بعد ما قتلوهُ نهبوا مركبتهُ المحملة كميةً من الدراهم ومن الأمتعة الثمينة ونقلوا الى مغارتهم هذه الغنيمة المكتسبة بالحرام . ثم أَرسلوا اصغرهم الى المدينة ليبتاع لهم طعامًا

فلما غاب كان الاثنان الباقيان يقولُ احدهما للآخر : لماذا نقاسم هذا الرديءَ أسلابًا فاخرةً . فلنقتلنَّهُ عند ما يدخل فحصتهُ من الغنيمة تزيد في حصّتنا

Digitized by Google

وبينما كان اللص الشابُّ منطلقًا افتكر في نفسهِ قائلًا : يا لسعادتي اذا كانت كل الغنيمة تخصُّني . فعليَّ ان اسمَّ رفيقي لكي تكون لي وحدي ثروتنا كلها

فلما وصل الى المدينة وتزوَّد الطعام طرح سمًّا في الخمر وأَخذ طريقهُ راجعًا الى رفيقيه

فحالما وضع رجلهُ في المغارة وثب عليهِ رفيقاهُ وغرزا خنجريهما في قلبهِ فوقع ميتًا من ساعتهِ ثم بعد ذلك ارتمى ذانك الاثنان على الطعام وشرعا يأكلان ويشربان بشراهةٍ من الخمر المسمومة فماتا هما ايضًا باوجاعٍ هائلةٍ ووُجدت جثتاهما وسط غنيمتهما

كثيرًا ما يجعل عدل الله الازلي المذنب يتسبَّب لنفسهِ في عقابهِ

٩١ في اكول اللحم البشري

صبيان صغيران من المدينة القريبة ضلاَّ في غابةٍ كثيفة . فلما صادفا أَخيرًا فُنَيدقًا منفردًا باتا فيهِ تلك الليلة

فعند انتصاف الليل سمعا بعضاً يتحدثون في الحجرة القريبة فألصقا آذانهما على خلال الحاجز ليسمعا جيداً . فحينئذٍ سمعا صاحب الخان يقول لامرأتـهِ : يا قرينتي غداً باكرًا ضعي الحلّة الكبيرة على النار في الوقت الذي انا اذبح عفريتَينا اللذين من المدينة .

فارتعش الولدان المسكينان ارتعاشاً مميتاً وقالا بصوتٍ منخفضٍ : يا لطيف . ان هـذا الرجل غُولٌ يأكل لحم بني آدم . فقاما حالًا وقفزا من الطاقة لينهزما . لكنهما عندما قفزا آذيا أرجلهما كثيرًا حتى لم يعُد يمكنهما المشي الّا قليلًا . هذا وكان باب الدار محكم الإغلاق

فلم يعرفا الى ايّ قديسٍ يلتجئان . فقرّ رأيهما على ان يزحفا على بطنيهما الى اصطبل الخنازير . وهناك قضيا تلك الليلة في غموم وكروب مهلكة . ففي الغد أتى صاحب الفندق صباحًا وفتح باب الاصطبل وبدا يسنُّ سكينهُ هاتفًا : يا عفريتيَّ اخرجا فقد دَنت ساعتكما

Digitized by Google

فصرخ الولدان صراخاً محزناً وتوسّلا اليهِ جاثيين على رُكَبهما ان لا يذبحهما. فبهت صاحب الفندق من وجود ذينك المسافرين الصغيرين في اصطبل الخنازير وسألهما لماذا تتخذاني غولًا أكولًا لحم البشر. فاجابهُ الصبيان الصغيران باكيين: لانك قلت لقرينتك في الليلة البارحة انك تقصد ان تذبحنا في هذا الصباح

أجابهما صاحب الفندق بصوتٍ عالٍ: يا لكما من غبيين. انا ما تكلمت عليكما. بل عنيت بقولي: عفريتيَّ اللذين من المدينة خنوصيَّ قد أعطيتهما هذا الاسم هزلًا لأنني اشتريتهما من هناك. فانظرا ماذا يجري لمن يتنصت على الأبواب. فمن الآن فصاعداً تذكَّرا هذه النكتة

ان خفت الشرور من اي نوع كان فكن على حذرٍ من التسمُّع على الأبواب

٩٢ في الدجَّال

سائح حسن الكسوة وصل يوم احدٍ عند المساء الى

Digitized by Google

فُندُق قريةٍ كبيرة وطلب ان يُقدم لهُ غداءٌ فاخرٌ وقنينة من أَجود الخمر. فحالما وضع اول لُقمةٍ في فمـهِ طفِق ينوح ويصرُخ صرخةً مبكية ويضع فوطتهُ على فمهِ قائلًا انهُ معذَّبٌ منذ خمسة عشر يومًا بوجع الأَضراس الشديد. فجميع الفلاحين الذين كانوا هناك أَخذتهم بهِ رأفة عظيمة

فمن بعد ذلك بهنيهةٍ دخل دجَالٌ وجلس في محلٍ آخر وطلب كاس عرقٍ. فلما علم بتشوش ذلك الغريب هتف: اصبر فاني باذن الله اسكّن وجعك في الحال. قال هذا وتناول من صندوقهِ علبـة سفوف مصرور في ورقةٍ ملوَّنـةٍ مطويَّة بحذاقةٍ ففتحهـا وقال: يا خواجه ما عليك الَّا ان تبلّ طرف اصبعك وتغمسهُ في هذا السفوف الابيض وتضعهُ على الضرس المسوّس. فاذ عمل ما وُصف لهُ صرخ حالًا: يا الهي ما هذا الفرج الذي نلتهُ. قد زال الوجع كلهُ كأَنَّ ذلك حدث بسحرٍ. وفيما هو فرحانٌ مسرور اعطى الدجَّال قطعة خمس فرنكات ودعاهُ الى ان يتغذَّى معهُ

Digitized by Google

فجميع الذين كانوا في الفُندُق بادروا غيرةً من بعضهم الى مشترى ذلك السفوف الثمين . وبعد ذلك بزمنٍ وجيز فعل كذلك كل اهل القرية الى ان نفَّق الدجَّال في اقل من نصف ساعة ميئات كثيرة من العُلَب وكل واحدة بثلاثين سنتيمًا . ثم حينما كان فلَّاح يشكو من وجع اضراسهِ استعملوا لهُ ذلك الدواء الخاص العجيب فلم يسكّن الألم قطعًا . فانذهل الحاضرون جميعهم من ذلك اندهالًا عظيمًا

اخيرًا بان المكر وعُرف ان السائحين كانا محتالين متواطئين معًا على غشّ جمهور الناس . وان السفوف ما كان إلَّا قليلًا من الجصّ . فقبض على ذينك المحتالين ليقدما في السجن كفارةً عن هذه الخديعة وعن غشوش جمة شبيهة بها ارتكباها

يا المجنون ذاك الذي يتكل على المتطببين فان أدويتهم لا تفعل بهِ الَّا زيادة عذابهِ

٩٣ في متطلِّب الكنوز

مرةً ما عند ميلان النهار الى الغروب اتى رجلٌ لابس

زيًّا غريبًا حاملًا كتابًا كبيرًا تحت إبطهِ وقضيبًا ابيض في يدهِ وحضر قدام فلاحٍ اسمهُ ليوناردوس وقال لهُ :

جئت لأَبوح لك بسرّ مهمّ وهو ان في احد حقولك محلًا مطمورة فيهِ كمّيّة وافرة من قطع الذهب والفضة . فان شئت ان تعطيني عُشرها فأَنبُش الكنز وتصير صاحب ملايين

فقبل الفلّاح كل ذلك منخطفًا من الفرح ولم يتطلّب سوى ان يستغني باقرب وقت . في ساعة نصف الليـــل ذهبا الى الحقل المذكور ومعهما مجرفتان وعَجَلةٌ صغيرة . فحفرا وهما في أَعظم سكوتٍ حفرةً عريضةً وعميقةً فلقيا صندوقًا كبيرًا وثقيلًا . فحملاهُ على العجلة الى بيت الفـــلّاح من دون مانع ولا معارض . فأَخذ ذلك المنـــكر يفحص الصندوق من كل جهةٍ ويمسّهُ بقضيبـــهِ تارةً من ناحيةٍ وتارةً من أُخرى وهو يقرأُ في كتابهِ جُملًا غير مفهومةٍ ويُشير إشارات سحريّة . وكان أَحيانًا يهزّ رأسهُ بوجهٍ مُكفهرٍ مهموم

أَخيرًا قال ان لم نشأ ان يستحيـــل الكنز الى فحمٍ

فسبيلنا قبل فتح الصُندوق ان نستعمل بعض أَدويةٍ سريّةٍ لفك السحر. ولا يقتني هذه الأَدوية احدٌ في العالم الّا صيدلانيٌّ شيخ قاطن محلاًّ بعيدًا عن هنا نحو أَربعين كيلومترًا. لكنهُ لا يعطيها باقلَّ من عشر ليرات

وكان الفلاح يومئذٍ قبض هذا المبلغ ثمن فرسٍ باعهُ من قبل بيومين. فدفعها للساحر. فهذا سافر تلك الليلة نفسها ولم يعد يبين ايضًا

فعب ان انتظر الفلاح رجوعهُ زمنًا طويلًا اعتمد اخيرًا ان يكسر الصندوق فما وجد فيهِ ذهبًا ولا فضةً ولا فحمًا لانهُ لم يكن فيهِ سوى حصًى ماخوذة من الساقية الجارية حذاء الحقل الذي كان حفرهُ وعليها ورقة صغيرة مكتوبٌ فيها

هكذا رغبتك الباطلة في نبش الكنوز تخسرك مالك ولا تُجديك الّا حصًى

٩٤ في الطيف

مرتينوس دخل عند انتصاف الليل الى بستان قصر

قريتهِ وملأ كيسين من الاثمار وحمل احدهما على كتفهِ ليأخذهُ الى بيتهِ

فبينما كان حاملًا اياهُ وماشيًا على حائط البستان دقّت ساعة الكنيسة نصف الليل . وكان ساعتئذٍ حفيف ورق الشجر المهتزّة بالهواء لا يخلو من الارعاش . فاذا بمرتينوس قد أبصر عن جانبهِ رجلًا أسود يقتفي آثارهُ ويُخال حاملًا الكيس الآخر مراعاةً لخاطرهِ

فعندما شاهد مرتينوس ذلك هتف صارخًا وألقى الكيس وعلق يركض بكل عزمهِ . فترك الرجل الاسود ايضًا كيسهُ وجعل يركض عن جانب مرتينوس وشيكًا مثلهُ حتى آخر حائط البستان وهناك غاب

فلما كان صباح الغد حدَّث مرتينوس كل الناس عن الطيف الهائل . لكنهُ حذِر غاية الحذر أن يفوه بكلمةٍ عمّا كان ارتكبهُ من السرقة . ومع ذلك استدعاهُ يومئذٍ شيخ القرية وقال لهُ : انك في الليلة البارحة ولجتَ بستان القصر لكي تسرق منهُ أثمارًا . ولا يمكنك مطلقًا إنكار

Digitized by Google

هذا الذنب لان الكيسين اللذين تركتهما رغماً عنك يشهدان عليك ٠ وعليهما اسم ابيك ٠ ومن ثم فانني آمر بحبسك في البرج ٠ واما الطيف الاسود فليس الَّا خيالك الذي عاينتهُ على الحائط المبيض من جديد في ضوء القمر الذي طلع نصف الليل

فانظر جيدًا ماذا يجري لجميع الذين يذنبون انفسهم بفعلٍ رديءٍ ٠ فان كل ورقة شجرٍ تتحرك تُخيفهم وخيالهم يُفزعهم فاحفظ جيدًا سلامة القلب فلا تعرف الخوف مطلقاً

٩٥ في الحاج

كان في قديم الزمان خيَّالٌ غنيٌّ قاطنًا قصرًا عظيمًا لكنهُ منذ مدَّةٍ مستطيلة لم يبقَ منهُ سوى خرائب وكان يصرف مبالغ شتى على تطريف مسكنهِ ٠ ولكنهُ ما كان يحسن الى الفقراء الَّا قليلًا جدًّا

فاتَّفق يومًا من الايام ان حاجًّا مسكينًا أتى قصرهُ وسألهُ ان يتضيَّفهُ ليلةً واحدةً ٠ فرفض الخيال ذلك بتعجرفٍ

قائلًا : ان بيتهُ ما كان قط فُندُقًا . فقال لهُ الحاجّ : اسمح لي ان أُلقي عليك ثلث مسائِل وبعد ذلك آخذ طريقي

اجابهُ الخيال : حسن على هذا الشرط أُجاوبك برضًا

حينئذٍ سأَلهُ الحاج : من كان يسكن هذا القصر قبلك

اجابهُ الخيَّال : كان أَبي

قال الحاج : وقبل أَبيك من كان قاطنًا فيهِ

اجابهُ الخيال : كان جدّي

قال الحاج : ومن بعد مَن سيقطنهُ

اجابهُ الخيال : ابني إِن شاءَ الله تعالى

قال الحاج : نعم . فان كان كلٌّ من سكان هذا القصر لا يقيم بهِ الَّا مدةً من الزمان وان كان كلٌّ منهم يسدّ مسدّ الاخر فينتج اذًا انكم لستم الَّا ضيوفًا وان القصر من ثمّ فندقٌ حقيقيٌّ . فان كان الامر كذلك فما بالك تتكلَّف مصاريف كثيرة كي تحسن تحسينًا متجاوز الحد ما لا تقتنيهِ الَّا زمنًا ما . فكن بالاحرى مسعفًا البائِسين ومتصدّقًا

على المساكين وتبني لك بهذا بيتًا أبديًا في السماوات

فاستفاد الخيَّال من هــذا الكلام حتى انهُ لم يُضِف الحاجّ فقط بل اضحى ايضًا من يومئــذٍ انيسًا ومحسنًا اكثر من ذي قبلٍ

ان غنى هذا العالم يزول مع عمرنا لكنَّ الخــير الذي نعملهُ يبقى على الأَبد

٩٦ في الناسك

كان امير متباهيًا بجمال صورتهِ ومتكبرًا بغناهُ ومقامهِ . فــكان ذات يومٍ في الصيــد في موضعٍ منفرد ما بين الجبال . فصادف منسكًا صغيرًا وشاهد ناسكًا تقيًّا جالسًا على باب قلاَّيتهِ . مشتغلًا بجدٍ في التأَمل براس ميت موضوع امامهُ

فدنا الامير من الناسك وسألهُ بصوتٍ استهزاءِيٍّ : قُل لي ايها الساذج لاي سببٍ تتأمَّل في هذه الجمجمة بفرط الانتباه . ترى ما الذي تستطيع ان تجــد فيها من العجب

Digitized by Google

فنظر اليهِ السائح بوجهٍ عابس وقال لهُ : انني اتفحّص هكذا لأعرف أَ كانت هذه جمجمة اميرٍ او مستعطٍ وما اقدر الوصول الى غاية ذلك

امضِ سل عظام الموتى ما هي خيراتنا وراماتنا وكنوزنا كافَّةً

٩٧ في الفتاة الموؤدة

فتاةٌ ماتت في زهرة عمرهـــا فوضعوا جثتها في تابوت وهي لابسةٌ ثوبًا ابيض بظرافةٍ وشعرها محبوكٌ بسلك لآلئ رفاع . وما عدا ذلك كان في يدها اليمنى خاتم ماسٍ . فبعد ما تفجع عليها أقاربها أودعوها القبر مع جميع حُلاها الثمينـــة المار ذكرها

في الليلة التالية دخل الحفَّار الى التربة ومعهُ مصباح ففتح القبر من جديدٍ ورفع غِطاءَ التابوت وأراد ان ينزع عن الجثة حلّتها الثمينة . فاذا بالميتة جلست على مقعدتها ونظرت اليهِ بعينٍ مظلمة لكنها شاخصة وسألتهُ بصوتٍ قبريّ ماذا تريد مني . فارتعد الحفار فَرَقًا وولى هربًا

Digitized by Google

فقامت الفتاة المظنونة ميتةً مع انها كانت واقعةً في سُباتٍ وخرجت من الحفرة واخذت المصباح الذي كان نسيهُ الحفَّار ورجعت الى بيت والديها . فعند ذلك فزِع منها اقاربها فزعًا غير موصوف لكن خوفهم استحال في الحال الى سرور عظيم

فلنتجنبنَّ ان ندفن بقلة فطنةٍ أُناسًا احياء حقًّا لكنهم موتى في الظاهر

٩٨ في الميراث

تاجرٌ غنيٌّ ترك كل مالهِ لأولادهِ الذين وعدوهُ مقابلةً لذلك ان يقدموا لهُ باكرامٍ جميع احتياجاته

ففي البدء كانوا يتمّمون كلَّ ذلك جيدًا لكن عزائمهم أَرتخت رُويدًا رُويدًا الى انهم أَخيرًا أَضحوا طمعًا قساةً عليهِ حتى صاروا على نوعٍ ما يعدُّون عليهِ كل لقمةٍ ولم يعودوا يهتمُّون ان يقدموا لهُ ثيابًا لائقةً

فكان ذلك الاب التعيس يقول كثيرًا : انني ارتكبت غلطًا ثقيلًا خاليًا من الفطنة بحرمان نفسي من جميع اموالي

Digitized by Google

قبل مماتي اكراماً لأولادي . لقد كان الاجدر بي ان أقبل توسُّلاتهم من ان أتوسَّل اليهم

وبينما هو في تلك الحالة اذ بواحدٍ من عملائهِ القدماء سلَّمهُ مبلغ عشرين الف ريالٍ بقيَّة دين عتيق كان يظنُّهُ هالكاً من زمان طويل

فللحين استصنع صندوقاً مكيناً خبأ فيهِ دراهمهُ

فشرع اولادهُ يحترمونهُ ويراعون خاطرهُ بكل ما يمكن من المراعاة لكيما يملكوا قلبهُ ويجذبوهُ ان يعطيهم ايضاً الدراهم المذكورة . لكن الشيخ الذي صار اعقل من ذي قبل احترز من ذلك جيداً ولم يُعطهِم فلساً واحداً

حينئذٍ سلَّوا انفسهم بافتكارهم انهم سيتمتَّعون يوماً بالمبلغ المنكر عليهم

فعبَّ وفاة ابيهم الشيخ أسرعوا حالاً الى الصندوق المكين وفتحوهُ بطَمَعٍ ليقتسموا ما ضمنهُ . لكنَّ اباهم كان قد وهب الدراهم سرًّا لبيت اليتامى ووضع عوضها قرميداً ملء الصندوق . فوجدو

Digitized by Google

على تلك الحجارة ورقةً مكتوبًا فيها

ان الله العدل يقلب الذهب حجارةً للبنين الجاحدين

جميل والدهم

٩٩ في تبسُّم المحتضَر

شيخٌ تقيٌّ عندما شعر بدنو أَجلهِ جمع أَولادهُ وحَفدتهُ حول سريرهِ . في الدقائق الاخيرة من حياتهِ تناوم وأَخذ يتبسَّم ثلاث مرات وعيناهُ مغمضتان . فلما فتحهما سأَلهُ واحدٌ من اولادهِ عن سبب تبسّمهُ المكرَّر ثلاث مرَّات

أَجابَ الشيخ الورِع : في اول مرةٍ خطر ببالي كل الملذات التي تمتَّعت بها طول عمري فلم اقدر ان امنع ذاتي عن ان اتبسم ضاحكًا على عمى أُولئك الذين يعتبرون تلك الاشياء ذات قيمة مع كونها تشبه فقاقيع الصابون

وفي ثاني مرةٍ تذكرت كل ما نزل بي من البلايا والهموم مدة حياتي الطويلة . ففرحت مفتكرًا بانهُ قد دنت الساعة التي فيها فقدت تلك الشدائد شوكها وانني أَشرفت الآن ان أَقطِف وردها

وفي ثالث مرةٍ عندما أمعنت النظر في الموت لم أستطِع ان اصدَّ ذاتي عن التبسم لافتكاري في الهول الذي يُلقيهِ على الناس هذا الملاك المرسل من الله كي يضع حدًّا لآلامهم ويقودهم الى مقرّ الراحة والسرور الابدي

من يكن على الارض صالحًا بارًا تقيًّا ينَل من الرب السعادة الابديَّة في السماوات

١٠٠ في الاصحاب بعد الموت

ابٌ قصَّ يومًا على اولادهِ هذه القصَّة

قال والي جزيرةٍ استدعاهُ مولاهُ الملك آمرًا إياهُ بالمثول امامهُ ليقدّم لهُ حسابًا عن تصرُّفهِ . فمن بعد ما تزوَّد وتهيَّأَ للرحيل نزل في مركبٍ . فبعض اصحابهِ الذين كان يتَّكل عليهم رأَوهُ مسافرًا ولم يتنازلوا الى ان يرافقوهُ خُطوةً واحدةً ولا أعطوهُ علامةً حقيقة دالة على تعلّقهم بهِ . وغيرهم الذين أكَّدوا لهُ مرارًا عديدة صدق محبتهم لهُ وبذلهم ذواتهم من اجلهِ حين كان قادرًا على ان يجديهم نفعًا اكتفوا

بان يرافقوهُ الى المركب . لكن بعضهم الـذين كان يكاد لا يصغي اليهم ولم يكن ليؤمل منهم تعلُّقاً شديداً بهِ رافقوهُ في كل سفرهِ حتى الى العرش الملكي ومثلوا معـهُ قدام الملك وحاموا عنهُ وطيَّبوا خاطر العاهل عليهِ

واردف الاب ذلك بقولهِ هكذا يكون للانسان . فان الانسان لهُ على الارض ثلاثة انواع من الاصدقاء الذين لا يتعلمَّ اعتيادياً حق معرفتهم الَّا بعد ما يُستدعى من هذا العالم ويلتزم بالمثول امام الله ليعطي حساباً عن حياتهِ

فالنوع الاول هو الاموال والوظائف والكرامات التي تتركهُ عند موتهِ كي تدخل تحت يد الغير

والنوع الثاني هو الاقارب والمعـارف الذين يرافقونهُ الى القبر

والنوع الثالث هو الاعمال الصالحة التي تتبعـهُ في رحيلهِ الى الابديَّة وتحضر معهُ تجاه عرشهِ تعالى وتتوسَّـل من اجلهِ وتستمدُّ لهُ نعمةً ورأفةً

Digitized by Google

فاذًا يا لعمي الانسان في كونهِ يتغاضى عن الخلّان الذين هم وحدهم يمكنهم ان يحصّلوا الدخول الى الملكوت السماويّ

ان الخير الذي تستطيع ان تفعلهُ في هذا العالم الفاني يجعلك وحدهُ ذا استحقاقٍ عند الله

قال مصححهُ قد اكتفينا مراعاةً للغرض الذي أوردناهُ في صدر الكتاب باصلاح ما كان مختلاً لغةً وتركيبًا ولم نحدث في صُوَرِ العبارة تغييرًا الّا متى اقتضت ذلك صحة الاحكام التركيبية

Digitized by Google

فهرست

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

وجه

Digitized by Google

6178

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
Digitized by Google

32101 077796801

Digitized by Google